أقـــدار

هويدا سمير

الكتاب : أقــدار (مجموعة قصصية)

المؤلف : هويدا سمير

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠١٤

رقم الإيداع : ٢٠٧٨٨/ ٢٠١٣

الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 169- 7

الناشر

شمس للنشر والإعلام

٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى- المقطم- القاهرة

ت/فاكس: ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤(٢+) / ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥(٢+)

www.shams-group.net

تصميم الغلاف : إسلام الشماع



أقـــدار

مجموعة قصصية

هويدا سمير

إهــداء

أهدي هذه المجموعة القصصية القصيرة إلى زوجي الحبيب، الذي منحني الحب الحقيقي، واعترف له بالفضل الأول في تمكَني من كتاباتي بأفضل ما عندي...

وكذلك أولادي، الذين بفضلهم منحوني السعادة والحب والحياة الهانئة...

أهديها لكل من شجعني من أصدقائي الذين اعتبروني الأخت الصغيرة التي تبدأ أولى خطواتها المهنية في الكتابة...

أهديها أيضًا إلى الملاك الذي أنار عائلتنا الصغيرة، وهو أول حفيد لنا (يوسف)، بارك الله لنا فيه...

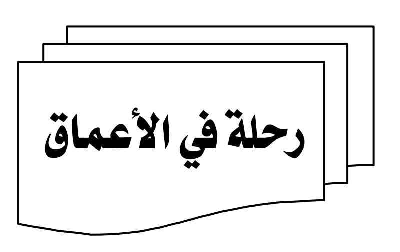
هويدا سمير

مقدمة

هذه مجموعة مختلفة من القصص القصيرة التي من الممكن أن نصادفها كثيرًا في حياتنا، أما نغفل عنها، أو نتعايش معها ونعتبرها أقدارًا من رب العالمين...

أرجو من القارئ الكريم التمهل في الحكم حتى ينتهي من القراءة..

هويدا سمير



بعد يومٍ شاقٍ وطويل، أغمضَت (نوال) عينيها، (وهي في العقد الخامس من العمر، طويلة القامة، بدينة القوام، بيضاء البشرة، ذات وجهٍ ملائكي)، حيث كانت الدموع تذرف من عينيها، وتنساب على وجنتيها، وهي مستغرقة في نومٍ عميق، لا يشعر بها زوجها (أكرم)، فهو (في العقد الخامس، طويل القامة، خمري البشرة، نحيف القوام) رغم أنه يقاسمها في فراشٍ واحد، إلا أنه مستغرق في النوم العميق...

تتذكر (نوال) أيامها الأولى في المدرسة الثانوية المشتركة، وهي تقف في طابور الصباح، فترى من ينظر لها من الشباب على الجهة المقابلة، لاستمالة قلبها نحو أحد منهم، لكنها كانت صامدة، حتى جاء يوم وجدت شابًا يحاول بشتى الطرق لفت انتباهها، عن طريق الصوت العالي بمجرد العبور أمام فصلها تارة، أو يلاحقها في رمي الكرة إليها وهي تلعب مع زميلاتها تارة أخرى، أو الدفاع عنها أمام شابين حاولا معاكستها وهي في طريق العودة من المدرسة وانتهت بعلقة ساخنة كانت من نصيب (أكرم)، الذي تعرفت عليه بعد جميع محاولاته للتعرف عليها، ونجح في الثانوية

لأنه كان يسبقها بعامين، إلا أنه كان شديد الغيرة عندما كان يوصِّلها في الذهاب والعودة من المدرسة...

تتنهد تنهيده طويلة وهي نائمة، ثم تُكمل ذكرياتها.. فترى في منامها أنها تسبح في بحر عميق، تضرب بيديها يمينًا ويسارًا، حتى رأت من بعيد أنوارًا مضيئة بكل الألوان، وله شكل كالقصر، فأسرعت في لهفة حتى وصلت، وطرقت باب هذا القصر، ففُتح الباب ولم تر من فتحه، كأنه بابٌ سحريٌّ، فدخلت، فوجدت أشكالاً وألوانًا من التُحف النادرة، فابتسمت في فرح: هذا بيتى، هذا مكانى... سمعت صوتا من ورائها: قفِ انه بيتى أنا... أنا ملكة هذا القصر...

وجدت امرأة تشبهها في كل ملامحها، وتتوج نفسها بتاج من الذهب الخالص وبه جواهر تُضئ بكل الالوان...

وجهت نوال سؤال للملكة: أنتِ (نوال)؟... أنتِ تشبهينها في الشكل فقط... (أكرم) زوجك، أتذكر يوم زفافكما، كنتِ تشبهين الملكة في فستانك والتاج الذي توجتِ به نفسك، (أكرم) هو الذي اختاره لكِ، وقال ستكونين ملكة حياتي القادمة، ربنا يقدرني أبني لكِ قصرًا عاليًا، وتعيشين فيه كالملكة المتوجة، وأنه سيحقق كل أحلامك، أتذكر أن كل الأهل والأصدقاء كانوا سعداء بكما، أتذكرين... كنتما أسعد زوجين، كان يحضر من عمله ملهوفًا، ويأخذك في حضنه الدافئ، ويلفُّ بكِ، وكنتِ تشعرين أنكِ كالطير في السماء الصافية... آهٍ من الذكريات... أتذكرك جيدًا، لم تتركي أحدًا يفسد

عليكما سعادتكما، حتى أولادك كانوا في كفة، وهو في مرتبة عالية، أعجبتِني في تخطيكِ كل الصعاب معه...

تصمت برهة، وتعيد تُكمل حديثها : لحظات السعادة في حياتك معدودة... أهملك زوجك من كثرة مشاغله، وعودته إلى البيت أشبه بحياة الفنادق، يعود للنوم واختلاس وقت قصير للراحة، تتجنبينه أنتِ وأولادك من شدة العصبية التي يعود بها... أنا معكِ أن الحياة أصبحت صعبة ومتطلباتها كثيرة... حقًا كنتِ تحاولين أن تدمجيه معكم أنتِ وأولادك في فرحكم ومرضكم وحزنكم، لكن هيهات... كان يتعامل معكم كالضيف على مائدتكم، أولادك (هيثم) الكبير (نحيف القوام، أبيض البشرة، عيناه عسليتان، شعره بُني) متزوج وله ابن عمره ستة أشهر، يُحضره لكِ كل يوم لأنه هو وزوجته (دينا) يعملان، فيعطيه لكِ من عند الباب كل صباح من غير ولا كلمة، ويعود أخر اليوم يأخذه بملابسه النظيفة ومعه وجبة الغداء التي طلبها منكِ، كيف قمتِ بطهيها، ليس مهم... تعبتِ، ليس مهم... المهم الطلب جاهز... مع السلامة... هو الآخر نسي تعب السنين... فرحتك به وهو طفل صغير... وهو شاب يافع... آهٍ من الإهمال، نسيت يا بني وأنا احملك في عزِّ تعبي، مثلما أحمل ابنك اليوم... أعرف يا ضناي أنه لم يكن لديك وقت من كثرة الشغل، والسعي على الرزق، لم يكن لديك وقت لقضائه معي...

وبنتك (نسمة) (خمرية البشرة، متوسطة الطول، بدينة القوام) في الجامعة، لا تحب أن تساعدك في أعمال البيت، ودائما أما نائمة، أو

تشاهد التلفزيون، أو اللاب توب، أو في الجامعة... نادرًا ما تأكل في البيت، تعشق الأكلات السريعة...

والبنت الصغيرة (رانيا) (صبية بيضاء البشرة، شعرها بُني، متناسقة القوام) في المرحلة الثانوية، تحبك وتفني نفسها لإرضائك وتفضِّلكِ على أبيها... أليس كذلك؟

تنظر لها الملكة في تعجب وتبتسم، وتقول: أجيبينى... (أكرم) هو حُبُّ حياتك توَّجك ملكة أول ما تزوجك... لكن بعدما أنجبتِ (هيثم) بسنة، أخذ في التغير رويدًا رويدا، يتعصب عليكِ في الفاضية والمليانة، رغم أنكِ لم تقصِّري أبدًا في حقه عليكِ... اهتمَّ بعمله وترك لكِ تربية الأولاد، أصبحت مسئولة عنهم وعنه في كل شيء، حتى في مرضهم كان يمر زوجك مرور الكرام، وأنتِ مسكينة تمرِّضي وتستذكري الدروس معهم، وتسهري طوال الليل، وهو في الصباح يسلِّم عليهم وهم في طريقهم إلى الامتحان: اكتبوا الكلمة دي وافتكروا المعنى ده...

وعند النجاح ينسبه لنفسه؛ إنه هو السبب فيه، لأنه أعطى تعليماته لهم بالمعنى المفيد... ولولاه لما نجح الأولاد.

كنتُ أراكِ توصلين الأولاد إلى النادى في الإجازات، وتحضرين الطعام وتذهبين لتطعميه طعام الغداء في البيت، ثم تعودين للأولاد مرةً أخرى...

والآن...

تنظر الملكة لها...

- دلوقتي إيه ؟... أكملي، أنا أسمعك...

تكمل (نوال) : من يشعر بكِ غير ابنتك (رانيا) الصغيرة... هيا اتركى مكانك أنتِ لستِ ملكة، أنا الملكة...

تنظر الملكة إليها، وتطلق ضحكة عالية، وتترك (نوال) في مكانها، ويحضر من يخرجها لم تتبين أشكالهم، وتحاول جاهدة أن تتشبث بشيء يعطيها الثبات داخل القصر والوصول إلى الملكة، لكن... كل محاولاتها باءت بالفشل، وخرجت (نوال) مهزومة من القصر، وهي منكسرة، محنية الرأس، وتتساقط دموعها وتختلط بماء البحر...

تفزع (نوال) من ضجة تهز كيانها وتنتفض...

- ما هذا الضجيج ؟...

إنه المنبه يُوقظها لتبدأ عمل اليوم الجديد... تسمع زوجها (أكرم) :

- اقفلى صوت المنبه المزعج ده يا(نوال)...

ترد (نوال) في لهفة:

- حاضر... حاضر... آسفة على الازعاج...

يلا يا(رانيا) معاد المدرسة.

• • •

- ملحوظة: الحياة مليئة بأمثال (نوال)، نتقابل معهم ويعيشون بيننا، ولكن يا ترى، هل ستستمر الحياة بهم هكذا ؟.. أم ستتغير ؟... والتغيير سيكون إلى الأسوأ، أم إلى الأفضل؟

بماذا تنصحون (نوال)؟... تستمر؟ أم تهرب إلى نصيب آخر؟



الساعة تدقُّ التاسعة مساءً، في أول أيام الصيف، تصعد إلى سطح العمارة كلٌّ من السيدة (سعاد) - ممشوقة القوام، بيضاء البشرة، جميلة الملامح، تعمل في مركز مرموق في شركة استثمارية للعقارات، متزوجة من زميلها (عادل) ولديهما فتاتان توأم متماثل في الإعدادية - وتتبعها خادمتها بتُرمس الشاي والكوبايات، وتلتقي على السطح مع جيرانها مدام (سنية) - بدينة القوام، خمرية البشرة، قصيرة، ربة منزل لا تعمل، متزوجة من صاحب العمارة المعلم (فتوح) يعمل بالمقاولات، ولديهما شاب في الخامسة والعشرين من عمره، مدلل لأنه وحيد أبويه، وفاشل في الدراسة، ويرافق أقران السوء أمثاله، ورغم ذلك يفخر به والداه بين جيرانه، بأن الشباب كله كده وهذا حال الجيل كله، وشابة في العشرين، وصبية في العاشرة - وأيضًا تسير وراءها خادمتها تحمل سرفيس كبير مغطى مفاجأة الست (سنية) لجيرانها، وتأمر خادمتها أن تضع ما تحمله على الطاولة وتنصرف... ويلتقينَّ مع مس (فوزية) - مديرة مدرسة إعدادية، وهي متوسطة الطول، سمراء البشرة، جميلة الملامح، هادئة الطباع، لم تُرزق بأطفال، وتعتبر نفسها أما لكل الأطفال

الذين تتقابل معهم، وبخاصة توأم مدام (سعاد)، تشملهم برعايتها دائمًا...

تسأل مس (فوزية) وهي تنظر إلى ساعتها:
- هي مدام (دولت) اتأخرت عن معادنا ليه؟...
ولم تُكمل كلمتها حتى ظهرت مدام (دولت) - وهي في الستين من عمرها، وكانت تعمل في وظيفة حكومية، وتقبل الرشوة لتخليص بعض الأعمال، ولا ترى في ذلك عيبًا، لأنها أعمال صعبة وتستحق من هؤلاء الأغنياء أجر تخليص أعمالهم، التي سوف تُدرّ ربحًا وفيرًا لهم، ولديها ابن وابنة متزوجان ويعيشان في الخارج، ولا يحضران إلا نادرًا، وزوجها الأستاذ (عبد القادر) في منتصف العقد السادس، وكان صاحب محل أدوات تجميل، وكان يُدخل بعض البضاعة المغشوشة، ومنتهية الصلاحية، ويغيِّر التواريخ، ويلصق عليها الماركات العالمية المشهورة، عن طريق رجل أعمال في الخارج - تقدِّم اعتذارها عن التأخير: آسفة يا جماعة على التأخير، كان عندي ضيوف ولسه ماشين...

وبدأت الجلسة النسائية التي اعتدنَّ عليها من شهور قليلة، وكان الفضل في هذا التجمع للسيدة (سعاد)، عندما كتبت ورقة، وحددت يوم في الأسبوع الأول من كل شهر، تتجمع فيه سيدات العمارة للتعارف والتقارب... وبالفعل استجابت بعض السيدات، ما عدا اثنتان من سكان العمارة لم يستجيبا لعدم رغبتهما في الاختلاط، وتكتفيان بإلقاء التحية من بعيد...

وبمرور الأيام أصبحت السيدات متقاربات مع بعضهن مثل الأخوات اللواتي تربين مع بعضهن، تتشاركن في إبداء الرأي والنصح، ومساعدة بعضهن البعض في الأفراح والأحزان، مثل خطبة (هبة) ابنة الست (سنية)، فكن يقابلن المعازيم معًا، ويقدمن الشربات والمأكولات... وأيضًا عندما مرض السيد (عبد القادر) وقفنَّ جميعًا من رجال ونساء العمارة في التناوب على مساعدته، وتطييب خاطر مدام (دولت) حتى تماثل للشفاء... ووقوفهن في ترتيب مواعيد عمل الكعك في عيد الفطر في الأسبوع الأخير من شهر رمضان كل يوم عند واحدة منهن... وهكذا.

وفي يومٍ ما، وهنَّ مجتمعات كالعادة، تشاهدن التلفاز في منزل مدام (دولت)، وجدنَّ (سعاد) تطلق صرخة، فتساءلن جميعًا عن السبب؟؟ ولكن (سعاد) تعتذر وتستأذن في الانصراف، وهي تداري دموعها في خجل، فيحاولن اللحاق بها، لكنها تنصرف إلى منزلها وتغلق عليها، وتسرع بفتح التلفاز وتشاهد الرجل الذي يتحدث مرة أخرى، وتكتم صرختها وتتلفظ بألفاظٍ غير مفهومة!!!... ويحضر (عادل) زوجها ويُفاجأ بالحالة التي وجد عليها زوجته، وقبل أن يتساءل عن السبب، يشاهد الرجل الذي يتحدث في التلفاز، ويُصاب بالانزعاج مثل ما أصاب زوجته ويتمتم:

- الحقير ده لسه عايش... طول عمره زي القطط...

وينظران إلى بعضهما.

وترد (سعاد):

- بعد ١٥ سنة نشوفه تاني.. ممكن يدور علينا ويفضحنا، إنت عارف أخلاقه اللي شبه الذئاب...

يرد (عادل) في غموض وإصرار:

- متخافيش، مش هيحصل أبدًا... لو بس فكّر يعملها هأقضي عليه بإيدى!!!

تنظر له (سعاد) وكأنها وجدت الحل:

- وبإيدى أنا كمان... زي ما آذانى وحياة ولادى لازم يدفع التمن غالي!!...

هذا الشخص الذي وجدوه في التلفاز (سعاد) وزوجها، هو (توفيق) زميلهما في الكلية، وكان بينه وبين (سعاد) قصة حب كبيرة وخطبها من أهلها، وكانت تثق به ثقةً عمياء، حتى بدآ في ترتيبات الفرح، وكان الكل يشاركهما فرحتهما ويبارك لهما، وساعدهما والد (سعاد) في الكثير من تجهيزات المنزل والفرح وخلافه... حتى يوم الفرح، حضر أحد أصدقائه وأخبرهم أن (توفيق) سافر إلى بلد أوروبى بلا عودة... وسقطت (سعاد) في حالة انهيار تام، ودخلت على أثرها المستشفى، ولم يعرف أحد بأنها حامل من (توفيق) غير (عادل)، الذي عرف بالصدفة وطلب الزواج منها، وأكرمهما الله بهذا التوأم ونسيا أمر (توفيق)؛ الذي علما بعد سنين أنه فارق الحياة في إحدى البلاد الأوروبية.

وفي الصباح، وجدا من يطرق عليهما الباب، فأسرع (عادل) بفتح الباب ولم يجد أحدًا، ووجد رسالة ملقاة على دواسة الباب، فالتقطها

وأغلق الباب، وأخذ يقلِّب في الرسالة من الأمام والخلف، وقبل أن يهمَّ بفتحها، حضرت (سعاد) ونظراتها تتساءل قبل لسانها:

- من مين الرسالة دي؟؟؟... تفتكر من...

يرد (عادل) في تعجب:

- مش عارف، لقيتها على الدواسة لما فتحت الباب...

وبدأ في فتح الرسالة وقرائتها...

عزيزي (عادل)... عزيزتي (سعاد)

وحشتوني جدًا،

أنتظركم في الفيلا بتاعتي بكرة الساعة ٧ مساءً لأمر هام جدًا

أرجو عدم التأخير أو الاعتذار للضرورة...

- ملحوظة: أمانة يا (سعاد) تبوسيلي التوأم حتى نلتقي...

المخلص (توفيق)

لم تتمالك (سعاد) قواها وارتمت على أول مقعد:

- هنعمل إيه يا (عادل)؟!!!

يرد (عادل) في حسم:

- هاروح أقابله لوحدى، وخليكي إنتي مع البنات...

تمسك (سعاد) بيد زوجها قائلة:

- أرجوك بلاش تهور، أنا والبنات ملناش غيرك...

وتحاول (سعاد) وزوجها التماسك طوال اليوم في العمل...

وفي اليوم التالي، سمعت (سعاد) طرقات على الباب، وجدت مس (فوزية) :

- إزيك النهاردة يا(سعاد).. انشغلت عليكي من إمبارح وطلبت منهم محدش يزعجك، طمنيني عليكي، وأنا مستعدة لأي مساعدة، إحنا اخوات ولازم نكون جنب بعض في أي حاجة؟

ترد (سعاد) في لهفة:

- شكرا ليكى، طبعًا اخوات ولو احتجت أي مساعدة مش هلجأ لحد غيرك..

وهنا خطرت لها فكرة، فأكملت :

- ممكن تقعدى مع البنات لمدة ساعة واحدة، حاروح مشوار مهم جدًا مع جوزي... إذا كان ممكن؟

ترد مس (فوزية) على الفور :

- طبعًا ممكن، أنا تحت أمرك، وكوني مطمئنة هاذاكر معاهم دروسهم، وأعشيهم وأنيمهم في ميعادهم، متحمليش هم أبدًا...

ردَّت (سعاد) متأثرة:

- شكرًا ليكي أوي، مش عارفة لو مكنتيش جنبي كان حصل إيه؟

- كل خير يا حبيبتي... ولا يهمك...

واتفقت (سعاد) مع زوجها (عادل) على الذهاب معه حتى لا يتهور.

وفي الموعد المحدد، كانت (سعاد) وزوجها على باب الفيلا، وما أن فُتِح الباب؛ وجدا مفاجأة في انتظارهما...

وجد (سعاد) و(عادل) في انتظارهما رجلاً ضخم الجثة، عريض المنكبين، غليظ الملامح، أجش الصوت، يمسك في يديه قناعين، يغطي الوجه بالكامل، وبصوت غليظ قال:

- إلبسوا الأقنعة دي دلوقتي قُدامي قبل ما تدخلوا الفيلا!!!!

فسأله (عادل) في تعجب:

- ليه هو إحنا في حفلة تنكرية؟... من فضلك إحنا جينا هنا نقابل (توفيق) ومش هنلبس الحاجات دي...

رد بصوت أكثر خشونة:

- اسمع الكلام وإلبسوا الأقنعة من غير دوشة... ده النظام هنا، ولما تدخلوا هتلاقوا ناس لابسين أقنعة زيكم ماتتكلموش معاهم إلا بإذن من (توفيق) بك!!!...

حاول (عادل) عدم سماع الكلام، فزجر له هذا العملاق زجرة وحش !!!.. فقالت (سعاد):

- إلبس يا(عادل) لما نشوف آخرتها إيه؟...

وبعد أن لبسا الأقنعة، اصطحبهما الرجل العملاق إلى داخل الفيلا، فوجدا أُناسًا آخرين يلبسون أقنعة على وجوههم، ثم أشار لهما بالجلوس وعدم الحديث مع الآخرين...

استمر الوضع على هذا الحال حتى سمعا صوت من ورائهما ونظروا جميعًا إلى مصدر الصوت وجدوه (توفيق) وهو يقول:

- أهلاً وسهلاً بكم... أنا سعيد بحضوركم جميعًا... هههههه.

وعلت ضحكاته.

وأكمل:

- اتفضلوا اكشفوا الأقنعة...

صرخت (سعاد) عندما رأت جيرانها، مدام (دولت) وزوجها، والست (سنية) وزوجها المعلم (فتوح) وابنهما (هيثم)، وتساءلت:

- إنتم تعرفوا (توفيق)؟؟؟... إزاي؟.. ومن امتى؟!!!

هنا أشار (توفيق) بيديه:

- استنوا، كلكم هتعرفوا كل حاجة.. وأعرَّفكم على بعض بعد شوية، وأعرَّفكم حكاية كل واحد معايا !!!

أكمل:

- نبدأ بالمعلم (فتوح) هو السبب في موت أبي، كان صاحب أبي الوفي اللي مش بيفارقه أبدًا، حتى أمي كانت بتغير من كتر ارتباطه وثقته فيه، لدرجة أن أبي مكانش بياخد قرار بدون ما يرجع له ويشاوره، بين مسا وصباح أصبح أبي خاتمًا في صباعه الصغير، حتى استولى على ميراث أبي من جدي بحجة المشاركة في مشروع مربح في العقارات...

وهنا حاول المعلم (فتوح) قطع الحديث:

- أنا يا(توفيق) يا ابني... مش السبب في موت أبوك.. إزاي تقول كده، وهو كان أعز صديق... حرام عليك يا ابني...

وبدأ يرتعش وينهار...

أشار له (توفيق) قائلاً:

- ابنك إيه يا معلم اصبر... اصبر شوية لما أكمل...

وبعد ما أخذ من أبي كل ما يملك؛ حتى صيغة أمي، بدأ في إفساد العلاقة اللي بيني وبين أبي؛ مع إني ابنه الوحيد.. كان بيقول لأبي إني بتعاطى مشروبات وحقن وملموم على شوية عيال مدمنين، حتى طردني أبي من البيت، علشان يستفرد هو بأبي، ويتبع معه الموت البطيء بحجج واهية، زي: الحي وقف الترخيص.. المونة اتسرقت.. العقار انهار... أخبار كلها كذب. ولأن أبي قلبه ضعيف محتملش ومات.. ومشي في جنازته... وطبعًا أمي رفضتني واعتبرت إني السبب في موت أبي، زي ما وسوس لها الشيطان الأعظم المعلم (فتوح).. ومبقاش قدامي غير إني أهاجر وأسيب البلد اللي راح مني فيها كل حاجه... وخجلت من ظروفى ومصارحة خطيبتي وأهلها...

يرد المعلم (فتوح) في تأثر واضح:

- ظلمتني يا ابني. إنت بعتلي آجي هنا علشان تسَّمعني الكلام الظالم ده.. إنت خدعتني، البرقية كانت دعوة هأقابل مستثمر أجنبي سمع عن الشركة العقارية بتاعتي عاوز يقابلني ضروري لأنه مستعجل ومعندوش وقت كافي، وإنه قدامه مقابلات مع أصحاب شركات عقارية تانية، واللي هيعجبه العرض بتاعه هيمضي معاه العقد على شراكة. وكمان أرجو حضور العائلة.. ليه؟ علشان تصّغرني أمام عائلتي... قومي يلا يا (سنية) وإنت كمان يا(هيثم) يا ابني... بلاش كلام فاضي، أنا اللي غلطان اللي صدقت دعوتك...

ضحك (توفيق) بصوتٍ عالٍ في استهزاء، وقال:

- كده بالسهولة دي ؟... اقعد، ولو فكرت تقف تاني وتحاول تمشي قبل ما آذن لك هتندم...

وأشار إلى العملاق الذي يحجب الضوء عن الجميع :

- هخلي (جمعة) يتصرف معاك!!! اسمع الكلام أحسن لك...

- (هيثم)...

يقف (هيثم) مستجيبًا :

- نعم يا(توفيق) بيه آمرنى...

يتعجب الجميع من رضوخ (هيثم) ابن المعلم (فتوح) لـ(توفيق) بهذا الأسلوب، لأن معرفتهم عنه أنه مدلل، ولا يسمع كلمة لأحد...

يكمل (توفيق) :

- تعالى هنا جنبى... الشاب الجميل ده مدمن مخدرات ومن أكبر موزعي الهيروين لي في مصر... ودراعي اليمين، ومبيعصيش لي أمر...

وناوله مسدس...

- لو قلت لك يا(هيثم) اضرب حد... هتعمل إيه؟؟؟

يرد (هيثم) على الفور دون تفكير :

- سمعًا وطاعة يا (توفيق) بك...

فعلت ضحكات (توفيق) : هههههههههه

هنا صرخت الست (سنية) وكذلك المعلم (فتوح) :

- هو ده انتقامك مني يا(توفيق) ؟...

وكاد أن يطبق في رقبته.. لكن الرجل العملاق تحرَّك سريعًا وأجهز عليه حتى شلَّ حركته وخبطه على رأسه فأفقده الوعي، وخرَّ هامدًا على الأرض... وقبل أن تنطق الست (سنية) كتم (جمعة) أنفاسها بلاصق وربط يديها في مقعدها... والعجيب، لم يتحرك لـ(هيثم) ابنهما الوحيد ساكنٌ، واحتفظ بهدوئه كما هو...

يرد (توفيق) في سخرية تامة:

- أنا هاوزع عليكم بعد شوية كل واحد مسدس فيه طلقة واحدة وهاطفي النور، وكل واحد يضرب الرصاص على الشخص اللي بيكرهه... إيه رأيكم !!!

وهنا ثارت (سعاد) وزوجها على (توفيق) قائلة:

- إيه اللي بتعمله فينا ده؟... إنت أكيد مجنون!!! الناس دي حتى لو ظلموك؛ تعمل كده... إنت أصلاً تظلم وتخون بلد بأكملها... أثّرت على (هيثم) وسلبته عقله... إنت مش طبيعي.!!

فأشار إليهما (توفيق) في حزم:

- استنوا دوركم.. لسه ماشفتوش حاجة... وقت الحساب حان الآن...

تتحدث (سعاد) في غضب:

- حساب مين؟... ومين إنت علشان تحاسبني أنا وجوزي؟

يرد (توفيق):

- أحاسب جوزك على خيانته الأمانة لى... (عادل) يا حضرات كان أخلص زميل لي أنا وخطيبتي (سعاد) مكانش بيحلى لنا طعام إلا معاه، ولا فسحة إلا لما يشاركنا فيها، (عدولة) زي ما كنا

مسمينه... كان على علم بكل كبيرة وصغيرة تدور بيننا ومعايا أنا بالذات، ومكنتش أعرف إنه هيجي اليوم اللي هيخوني فيه بالشكل ده، وياخد مني خطيبتي في غمضة عين... لما مات أبي، وأمي رفضتني؛ مكنش لي مورد رزق بعد الشيطان (ويشير إلى المعلم (فتوح) وهو راقد على الأرض) ما أخد مني ميراث أبي... روحت لـ(عادل) وكان قدامي فرصة سفر للخارج مع أحد عمال المراكب البحرية، يخفينى سرًّا في صندوق لغاية لما أوصل إلى بلد أوروبي، وأدور على شغل هناك، ولأنه صديقي الصدوق ما صدَق وشجعني إني أهرب، ومكنش فاضل على زفافنا أنا و(سعاد) إلا أسبوع واحد، وكان أملي إن أمي ترضى عني وتديني ميراث أبي، أصرف منه على جوازي بعد ما حمايا تولى ترتيبات الجهاز... واتفق معايا صديقى إنه هيقول لـ(سعاد) كل اللي حصل، وخجلي لأني معنديش مقدرة على إتمام الجواز في الوقت الحالي.. لكنه استنى لغاية يوم الفرح وبعت لها مع شخص من أتباعه إني سافرت وغدرت بيها، وهو يظهر أمامها طبعًا أنه الفارس الهمام المتيم بحبها وراضي بها، ويظهر أمام الجميع أنه المنقذ الوحيد لها... في أخلص من كده صديق ؟!

لكن في حاجة معايا تخصك يا صاحبي...

واخرج ورقة مطوية من جيب الجاكيت، وفردها وأعطاها إلى (سعاد) وقال:

- ده تحليل لجوزك المحترم المخلص إنه ميقدرش ينجب، ممكن أعرف البنات دول ولاد مين ؟... وأشار إلى الدور العلوي...

نظرت (سعاد) إلى أعلى، فوجدت ابنتيها التوأم ومعهما مس (فوزية) في الدور العلوي، فصعقت وصرخت فيه:

- إلا بناتي... قول اللي إنت عاوزه مش هصدق كلمة واحدة في (عادل) وهو أبو بناتي... ابعد عنا وسيبنا في حالنا.. حتى لو كلامك حقيقي مش هيفرق معايا... ابعد بشرَّك عنا... مس (فوزية) خدي بناتي من هنا بسرعة...

وهنا أشار (توفيق) إلى مس (فوزية):

- تعالي يا بنت عمي وهاتي البنات معاكي، وخليهم زي ما هما القطن في ودانهم والغمامة على عنيهم عشان ميشفوش أمهم وهي بتلعب معانا لعبة الموت... شفتوا بقى أنا طبيعى إزاي... شفتوا قلبي رهيف إزاي؟!!!

ردَّت (سعاد) وهي منهارة:

- إنت معندكش قلب... تآمرت وتجسست علينا !!!

ردَّ (عادل) في خجل:

- قبل ما اتجوز (سعاد) قولت لها كل حاجة وسبت لها حرية الاختيار يا أما تحصلك هربًا من أهلها أو تقبل تتجوزني.. وهي اللي اختارت إنها تتجوزني. أنا مخدعتكش ولا خونتك، إنت اللي خدعتنا ومعرفتنيش إنك مطرود لسوء أخلاقك... إنت كنت مصاحب بنات غير (سعاد)، وكنت إنسان وصولي، كنت عارف إني بحبها وشغلتها عني بأساليبك الماكرة... ورغم إني نبهتك كتير، لكن كنت ودن من طين وودن من عجين... وإنت اللي

ضحكت عليها، وشرَّبتها مخدر وسلبتها أغلى شيء، ورغم وعدك ليها بإنك هتصونها لكن.. خنت الأمانة بعد ما أكرمك أبوها بمساعدتك في كل شيء في تكاليف الزواج... رغم إنك وعدتني هتصلح من نفسك... جاي بعد ١٥سنة بتحاسبنا على أخطائك...

يثور (توفيق):

- البنات دول بناتي أنا... انزلي يا (فوزية) وهاتي البنات معاكي... مس (فوزية) هي اللي كانت بتنقل أخباركم ليا !!!

ترد مدام (دولت) وهي متعبة:

- أفتكر إن كل اللي بينكم أمور عائلية ملناش فيها، وخصوصًا إن جوزي راجل مريض وميقدرش يقعد كتير بدون راحة...

فرد (توفيق) في سخرية:

- آه آسف... أخّرتكم شوية... إنتي حكايتك معايا حكاية يا مدام (دولت).. بالرشوة غيّرتْ الأوراق اللي بتخص ميراث أبي وأمي لصالح المعلم (فتوح) مقابل إنه يديها شقة في العمارة بتمن بسيط... وجوزها كنت ببعت له من الخارج أدوات تجميل منتهية الصلاحية وهو يغيّرها إلى حديثة التصنيع.. مش كده يا حبيبي؟... كان نفسي أنسى كل حاجة... لكن للأسف...

ويأمر (جمعة): روح هات المسدسات من على المكتب، علشان نبتدي اللعبة الظريفة.

ويوجه كلامه إلى مس (فوزية) قائلاً:

- هاتي جردل ميه وارميه على الشيطان ده فوَّقيه... يلا بسرعة...

وهنا نظرت مدام (دولت) إلى زوجها وجدته صامتًا لا يتحدث:

- اتكلم يا (عبد القادر) ودافع عن نفسك... ساكت كده ليه ؟...

لكن للأسف وجدت الأستاذ (عبد القادر) قد فارق الحياة، وانهارت مدام (دولت) وهي تصرخ في (توفيق):

- إنت السبب في موته... ياريتنا ماجينا هنا، ولا شفناك... إنت مريض نفسى... إنت الشيطان... إحنا كفَّرنا عن ذنوبنا واستغفرنا ربنا وهو الوحيد صاحب العفو والمغفرة.

وهنا قام المعلم (فتوح) من رقدته، وهجم على (توفيق) وساعده (عادل)، وأسرعت (سعاد) بفك الست (سنية) وقالت في فزع:

- خدى البنات واخرجى بسرعة!!!...

ومسكت المسدس الذي كان في الجيب الخلفى لـ(توفيق) وأطلقت الرصاص على قدم (توفيق) شلَّت حركته... وأخذ المعلم (فتوح) منها المسدس وانتظر (جمعة) وهو يحضر مهرولاً عندما سمع صوت الرصاص، وأجهز عليه هو و(عادل) وضربوه على غفلة منه فخرَّ راقدًا على الأرض، وبسرعة البرق قيَّدوه هو و(توفيق)!.

وأمسكت (سعاد) بمدام (دولت) حتى تخرجها من الفيلا... فانقضت عليها مس (فوزية)، لكن فاجأها (عادل) بلكمة قوية أفقدتها توازنها وسقطت على الأرض...

وربط المعلم (فتوح) (توفيق) والرجل العملاق ومس (فوزية)، وساعده (عادل) و(سعاد) واتصلوا بالشرطة...

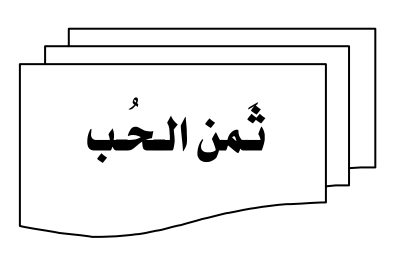
وبعد دفن الأستاذ (عبد القادر) ودخول (هيثم) لتلقي العلاج في مستشفى خاص للإدمان... رجعت الحياة إلى طبيعتها في العمارة...

وحُكم على (توفيق) بالسجن لحوزته كمية كبيرة من الهيروين، وأيضًا (جمعة) الرجل العملاق...

وطُردت مس (فوزية) من العمارة...

وعاد التوأم إلى مدرستهما... دون أن يعلما شيئًا عما حدث.

• • •



ثُمن الحُب

في صباح شتاء شديد البرودة، تستيقظ السيدة (عفاف) من النوم متثاقلة، وبجانبها الطفلة الصغيرة (مرام)، التي لا تتعدى الثامنة من العمر، تمسح على وجهها البريء لتوقظها في رفق، لتستعد للذهاب إلى المدرسة، وتدنو من باب الغرفة الأخرى، لتوقظ (أماني) - شابة خريجة الهندسة، واستلمت العمل في مصنع الغزل - تتمايل الشابة الجميلة ذات الشعر الذهبي والعينين الخضراوين والقوام الممشوق في دلال، وتستجيب على الفور وتذهب إلى غرفة أمها، لتسحب أختها (مرام) بتدليل لغسل وجهها والاستعداد لارتداء ملابس المدرسة، حتى توصِّلها قبل ذهابها إلى عملها، والأم بدورها تُحضِّر الإفطار وكوب اللبن الساخن المحلى بالشيكولاتة وسندوتشات الجبنة بالطماطم لـ(مرام) لتأكلهم في (البريك) بين الحصص، وتجهز الفتاتان ويتناولا الإفطار سريعًا، ويودعا أمهما، التي تركها زوجها ولقى ربه إثر حادث منذ سبع سنوات، ورفضت عروض الزواج من أجل رعاية الفتاتين، وعملت بمشغل للخياطة، حتى تعينها على المعيشة بجانب معاش زوجها، وتتحصل على جزء من إيراد أرض زراعية لزوجها وأهله، كلٌّ منهم له نصيب تودعه في البنك لزواج الفتاتين...

توصِّل (أماني) أختها إلى المدرسة وتذهب إلى محطة الأتوبيس، لانتظار أتوبيس شركة الغزل ليوصِّلها، وفي الأتوبيس تلتقي زميلتها التي تعرَّفت عليها منذ تعيينها من شهر واحد فقط، المهندسة (ضحى) - بيضاء البشرة، عينان عسليتان وشعر بُني كثيف - تلتقي الفتاتان ويسلما على الموجودين من الزملاء في المصنع، ولا يلتقوا إلا في الأتوبيس فقط...

يصلا إلى المكتب الهندسي بالمصنع، يجدا مديرة المكتب المهندسة (مدام حكمت) فهي جادة في العمل ولا تحب الأحاديث الكثيرة، في العقد الخامس محجبة بدينة سمراء، وتوزِّع العمل على الشباب (أماني) و(ضحى) والمهندس (رامي) شاب هادئ الطباع، قليل الكلام، ذو رجولة في مواقفه مع زملائه، خمري البشرة صلب البنيان، ويعمل تحت رئاسة (مدام حكمت) ويكنُّ لها احترام خاص، متواضع رغم أنه ابن مدير المصنع، لكنه رؤوف بمشكلات العمال. وأيضًا في المكتب المهندس (جرجس) في العقد الرابع متزوج ولديه ولدان في التعليم الثانوي، ضئيل الجسم خفيف الشعر، خمري البشرة، ودائم التعليق بالنكات وضحوك ويحبه الجميع...

ويبدأ الجميع العمل بهمة عالية، وفي وقت الراحة يتناولون بعض المأكولات الخفيفة من كافتيريا المصنع، وكانت (ضحى) تكن (لرامى) حُبًّا في قلبها، ولكن هو له رأي آخر، لأنها كثيرة الثرثرة ويعتبرها مثل أخته، وهو يرتاح إلى (أماني) ويشعر نحوها بانجذاب، ولكنه يحاول أن يخفيه حتى تصل مشاعره إليها دون

تصريح، ولكن (أماني) تتعامل مع الجميع باحترام، وكأنهم عائلة ثانية لها...

ومرَّت الأيام وتوالت الشهور والأمور تسير على أحسن حال، حتى وجدوا بطاقة دعوى على مكاتب جميع الموظفين بحضور الحفل السنوي للمصنع، في قاعة فندق فخم، والأتوبيس الخاص بالشركة سيكون في انتظارهم في نفس المكان الذي ينتظرهم كل يوم، ويوصلهم أيضًا في العودة، فعرض (رامي) على (أماني) و(ضحى) أن يوصلهما في الذهاب والعودة، لكن (أماني) اعتذرت في أدب، وقبل اعتذارها، لكن (ضحى) وافقت وذهبت معه...

وفي يوم الاحتفال ذهبت (أماني) بالأتوبيس، وأثناء الاحتفال وجدت اتصال من أختها الصغيرة:

- احضري بسرعة يا(أماني) ماما تعبانة جدًا، ومش بترد عليا...

وأخذت تبكي (مرام) في التليفون!!!!

فأسرعت (أماني) واعتذرت عن عدم استكمال الحفلة، وعرض عليها (رامي) أن يوصلها؛ فوافقت، وأسرعا إلى المنزل، وكانت أمها مريضة جدًا، فأخذوها إلى المستشفى ليسعفوها... وبعد الكشف اتضح أنها مريضة سكر وضغط عالي تسبب لها في الإغماء، وكان (رامي) يقف بجانب (أماني) ولم يتركها حتى اطمئن عليهما، وأوصلهما إلى المنزل، وشكرته (أماني) هي وأمها، وطلبت منه تقديم إجازة لها في اليوم التالي حتى تعتني بأمها.

ومرَّ يومان و(أماني) تعتني بأمها حتى تماثلت للشفاء، وقرَّرت الذهاب للعمل، وفي طريقها لتوصل أختها (مرام) إلى المدرسة، وقبل أن تصل إلى محطة الأتوبيس، كادت تصدمها سيارة تسير بسرعة، فوقفت السيارة ونزل منها شاب يرتدي البدلة الحربية، طويل القامة أسمر اللون ذو عينان عميقتان، شعر أسود كثيف، لحق بـ(أماني)، وأحاطها بيديه قبل أن تسقط على الأرض، وأخذ يردد:

- آسف جدًا لم ألاحظك، أرجوكِ اقبلي اعتذاري.

ردَّت (أماني) وهي غاضبة:

- من فضلك تراعي إن فيه ناس تسير في الشارع.

ورفعت يده بعصبية لإبعادها عنها، وأخذ الشاب يكرِّر اعتذاره، ويطلب منها أن يوصِّلها إلى أي مكان تريده...

وهنا نظرت له في حدة وقالت:

- هذا تجاوز لا يتوافق معي، من فضلك لا تعترض طريقي...

وتوقفت عن الكلام عندما تلاقت نظراتهما.. وشعرت بمدى إحراجه منها... وانسحب وهو يكرِّر أسفه، وركب سيارته وانطلق بها...

وكان بعض الناس يتجمعون لمعرفة ما حدث، ولكن (أماني) أسرعت تختفي بسرعة لتلحق بالأتوبيس، وبعد ركوبها وجدت زميلتها (ضحى) تلاحقها بالأسئلة عن صحة أمها، وهي تحاول أن تتدارك ما حدث وتلتقط أنفاسها... وقصَّت على (ضحى) ما حدث لها، واعتبرت أن الأمر انتهى، ولكن لم تستطع أن تمنع نفسها من

التفكير في هاتين العينين العميقتين، وكيف تسببت له في هذا الإحراج، وحاولت أن تشغل نفسها بالعمل اليومي والاشتراك في الأحاديث الجماعية بينها وبين من في المكتب، وحاول (رامي) أكثر من مرة التقرب منها، لكنها كانت تتعامل معه بإخوة لا أكثر...

وهي في غرفتها دنت أمها منها، وسألتها عن سبب شرودها، فقصَّت عليها ما حدث، وأنها مازالت تتذكر عينيه، ولا تعرف لذلك سببًا مقنعًا.. وأشارت عليها أمها بأن تهتم بشغلها، وتترك الأمر لله.

وبالفعل حاولت أيامًا كثيرة، ولكن في يوم وهي توصِّل أختها، وجدته يقف أمام سيارته في انتظارها، وشعرت بقشعريرة لأول مرة تسري في عروقها، وما إن اقترب منها حتى حاولت أن تتماسك... قال:

- صباح الخير، أرجو أن تسمحي لي بدقيقة من وقتك... أنا اسمي (عادل) ملازم أول في الحربية، ومن يوم الحادثة، وأنا لا أعرف ماذا حدث؟ لم تغيبي عن بالي، ولو تسمحي أتعرف عليكِ !!!

جمَعت شجاعتها وردت:

- خلاص الموضوع انتهى، وأنا نسيت وحصل خير...

فردَّ:

- اسمك ايه؟

فانصرفت بسرعة البرق، وهي تلملم في شجاعتها، التي خافت أن تخونها وينفضح أمرها، بأنها هي الأخرى لم تفلح في منع نفسها من التفكير فيه...

وما إن تقابلت مع (ضحى) حتى تركت لها العنان، لكي تثرثر حتى تستعيد تماسكها... واندمجت في العمل مرة أخرى...

وهي على مائدة الغداء مع أمها وأختها، رنَّ جرس التليفون، فردَّت (أماني)، وجدت صديقتها من الجامعة (رباب) تدعوها لحضور حفل زفافها بعد غد، وتؤكد عليها الحضور، لأنها عزمت كل أصحابها من الكلية.. فوعدتها بأنها سوف تحاول، وفكَّرت مع أمها من يذهب معها إلى الفرح، لأنه ينتهي في وقت متأخر من الليل...
فعرضت أمها عليها الاستعانة بخالها (عزت) فهو متقارب في السن مع (أماني) يكبرها بسنوات قليلة، فرحبت واتصلت بخالها ووافق وقال:
- يمكن يوافقني الحظ، واختار عروسة حلوة من أصحابك، وضحك، بس بلاش تقوليلي يا خالو أمام أصحابك وتحرجيني.
فضحكت أماني وقالت:
- لا متخافش، بس هأقول يا جدو...

وفي يوم الفرح، ذهبت (أماني) مع خالها (عزت) وهو قريب الشبه بأمها (مدام عفاف) خمري البشرة متوسط الطول أسود الشعر، وهو ضابط شرطة برتبة نقيب، وكثير الضحك وقريب إلى قلب عائلة أخته، وكثير الثقة في عقلية (أماني) لرجاحة تفكيرها، ودخلت الفرح وهي تمسك بيد خالها، والتف عليهما أصحابها البنات والشباب، وسلموا عليهما وهم يعرفون خالها (عزت) لأنه كان يحضر ليأخذها من الكلية... وجلس الجميع لدخول العروسين،

وأُضيئت الأنوار ووجدت في الطاولة القريبة منها الشاب (عادل) وأشار لها بيده، فأدارت وجهها من هول المفاجأة!!!

وبعد قليل استدعى المذيع أصحاب العروسين للرقص، والاحتفال بهما، وقامت (أماني) مع أصحابها لتحتفل، ووقف بجانبها خالها (عزت)، واندمجت (أماني) مع أصدقائها وحاولت أن تتناسى (عادل) لكنه كان يلاحقها، حتى اقترب منها وشعرت بأنفاسه بجانبها، وفجأة اختفى عن ناظريها فبحثت عنه بعينيها، فوجدته بجانب العروسين يراقصهما... وبعد قليل، أشارت إليها العروسة:

- أعرِّفك يا (أماني) بالكابتن (عادل) الصديق الانتيم لـ(عمرو)... وهي تشير للعريس... ودي (أماني) أحب صديقة إلى قلبي...

ردَّ العريس (عمرو):

- يا سيدي أعرفك بأحلى واحدة في دفعة (رباب)...

ردَّت أماني:

- شكرًا، وألف مبروك يا (رباب)

واحتضنت صديقتها، وسلَّمت على (عادل) بإيماءة من رأسها..

وتنحت جانبًا (أماني) مع (رباب) وقالت لها:

- من يومين كان معنا الكابتن (عادل) لوضع صور الشو للفرح، ورأى صورتك في ألبوم الصور الخاص بي، وسألني عنكِ، وأنا رأيي افتحي قلبك واطمني، ده من عائلة ممتازة، وأخلاقه عالية، ويليق بكِ، وكمان صاحب (عمرو) من الصِغر ويعرف أهله...

واقترب العريس وجذب عروسه لتكملة الاحتفال...

اطمأن قلب (أماني) وابتسمت لأول مرة لـ(عادل)، فاقترب منها وهمس:
- هأنتظرك أمام مدرسة أختك غدًا...

وانتهى العُرس وعادت إلى البيت، ووجدت أمها في انتظارها، لتطمئن عليها، فلمحت أم (أماني) الفرحة في عينيها، فاقتربت من (أماني) وسألتها عن سرِّ اللمعة التي تراها في عينيها !!.. فأجابت :
- السبب فرح (رباب) رأيت فيه كل أصدقاءنا، وقضينا وقتًا لطيفًا.
وأستأذنت أمها للنوم، وطبعت قبلة على وجنتيها وهي ترجوها أن تدعو لها...

وفي اليوم التالي، وجدت (عادل) أمام مدرسة (مرام)، فذهبت وسلَّمت عليه، وطلب منها خمس دقائق ليحدثها عن نفسه.. فوافقت، فقال:
- من أول يوم شفتك فيه، لم تغيبي عني ولو لحظة واحدة، رغم إني عرفت بنات كثير، وأول مرة يحدث لي ذلك، إحساسي نحوك يختلف، وتأكدي أن كل ما أقوله حق...

نظرت إليه في تعجب وقالت:
- تصارحني بأنك تعرف بنات كثير، وأن شعورك نحوي مختلف، إزاي أصدقك؟

- صدقينى بإحساسك، وهو فيه شاب لم يعرف بنات في شبابه، حتى يميّز بإحساسه الحب الحقيقي؟، صارحتك من البداية لأني حاسس إنك أول حب وأخر حب في حياتي!!! اطمئني..

فكَّرت قليلاً.. وقالت:

- أنا من صغري أحب الناس كلها ولم أميِّز أي شخص بمعاملة خاصة لأني لم أشعر يومًا بخفقان القلب كما تشير البنات، واستمر هذا حالي حتى في عملي حريصة؛ يمكن لشعوري بالمسؤولية تجاه أمي وأختي بعد فراق أبي رحمة الله عليه...

وهنا قاطعها عادل وسألها:

- ألم تفكري فيَّ مثل ما شغلتِ تفكيري من أول يوم رأيتك فيه... صدقيني إن إحساسي نحوك هو حبٌّ حقيقيٌّ وتأكدتُ منه عندما رأيتك في الصور مع (رباب) وعرفت عن التزامك وأخلاقك الرفيعة الكثير من (رباب) وسعدت بكِ أكثر ومتمسك بكِ أكثر، ولن أطيل عليكِ حتى تتأكدي بنفسك من شعورك نحوي...

فنظرت في ساعتها، واعتذرت له بأنها تأخرت على عملها، وانصرفت...

وفي الطريق أخذت تفكِّر في كلام (عادل)... وعندما وصلت المكتب، وجدت (مدام حكمت) تريد أن تحدثها على انفراد، فجلست بجانبها وقالت لها:

- فيه خبر حلو، عريس ابن حلال وأخلاقه ممتازة وبيحبك، وهو المهندس (رامي) !!!

فشعرت (أماني) بالخجل الشديد، وأحنت رأسها وقالت:

- حضرتك عارفة أنا بحترمك قد إيه؟، وكذلك المهندس (رامي) فهو بالنسبة لي مثل أخي وأحترمه وأقدِّره، وياريت تساعديني في

الاعتذار له، وترشحي له المهندسة (ضحى) فهي تكن له محبة في قلبها... أرجوكي...

تعجبت مدام حكمت من رفضها وقالت:

- فيه واحدة ترفض عريس مهذب مثل رامي؟!!... فكري شوية يا بنتي ده عريس لقطة...

واعتذرت (أماني) في أدب وقالت:

- الحقيقة إني قابلت الحب في شاب لأول مرة في حياتي من فترة ولم أتأكد أني تعلقت به إلا بعد ما تأكد لي حبه وتمسكه بي.. آسفة إني هتسبب لكِ في إحراج مع الباشمهندس (رامي) فهو مثل أخي وزميل محترم.. و(ضُحى) زي ما قلت لكِ هي الأنسب له...

وبعد ما انتهت من حديثها حضرت (ضُحى) لتستشير (مدام حكمت) في أمور تخص العمل وانهمكنَّ جميعًا في العمل وهي تحاول أن تتجنب (رامي) في أن لا يجتمعا ولو للحظة حتى لا تشعره بالحرج وتحاول أن تختار الأعمال التي تبعدها عن (رامي) وتضع (ضحى) أمامه حتى يشعر بها أكثر منها..

وبعد انتهاء العمل طلبت أن تنصرف، لشعورها بالتعب المفاجئ، فسمحت لها... وانصرفت إلى المنزل، لتلقى أمها في البيت، وتقص عليها ما سمعته من (عادل)...

قالت أمها:

- فكّرتى في كلامه بإحساسك أم بعقلك؟..

قالت أماني:

- فكرت بإحساسى ومصدقة كلامه، لكن العقل يعطيني إشارة بالتروي وعدم التسرع...

قالت الأم :

- برافو عليكِ، اسمعي كلام العقل، حتى تتأكدي من إحساسه نحوك.

وفى اليوم التالي، وجدته أمام المدرسة، وسمحت له بالكلام، وكل مرة تشعر أنه صادق في كلامه وإحساسه... وبدأ القلق يتبدد شيئًا فشيئًا، وأحسَّت بالحب يتملك قلبها الصغير...

وكانت تتابع (ضحى) وتحاول أن تقرِّبها من (رامي) وتوَفق بينهما، وتساعدها (مدام حكمت) خاصة عندما علمت أنها مشغولة بشخص آخر، وقريبًا سيعرفه الجميع...

وتقدم (عادل) إلى خالها وأمها، واستعجلهما في الزواج وتحديد موعد مع أهله للخطوبة، وبعدها الزواج...

وفي الموعد المحدد، حضر (عادل) وأبوه إلى منزل (أماني)... وكانت المفاجأة بأنه مدير الشركة التي تعمل بها، والمهندس (رامي) هو الأخ الأكبر لـ(عادل)!!!

وبسرعة تماسكت حتى لا تُظهر شيئًا، ويفهمها (عادل) خطأ خصوصًا أنها لا ذنب لها في حُبِّ (رامي) لها، ورحَّب بزواج ابنه من (أماني) لأنها مهندسة كفؤ وذات أخلاق عالية... وتمَّ تحديد موعد الزفاف بعد أسبوعين، لأن كل شيء جاهز؛ على حسب رأي العروسين، لأن الإقامة ستكون في الدور العلوي للفيلا التي تقيم بها العائلة...

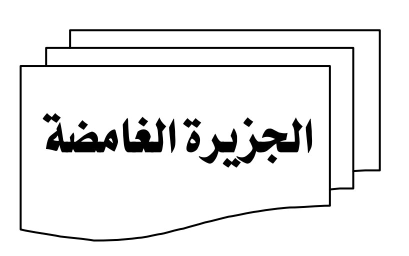
وبعد يومين علمت من (عادل) أن (رامي) طلب السفر والإقامة في فرع الشركة في دبي، وأن أباه وافق له..!!

وفي موعد الزواج، أُقيم حفلٌ كبيرٌ في فندق شهير بالمدينة، حضره لفيفٌ من نجوم المجتمع والأصدقاء والأقارب، وسافر العروسان لقضاء شهر العسل، وكانت أحلى أيام مرَّت على الحبيبين... ومرَّ العام الأول في سعادة وهناء وسرور، ورُزقا الحبيبان بطفلة تشبه القمر، وسموها (نورا) وكانت لهم النور الذي ملأ عليهما حياتهما بهجة وسعادة...

وفي يوم تمَّ استدعاء (عادل) للقيام بمناورة على الأعداء، وذهب هو وزملاؤه لمدة يومين، وانتظرت (أماني) بلهفة رجوع زوجها إليها، ولكن حضر من يخبرها أنه أُصيب في المستشفى، ويريد رؤيتها، فذهبت إليه ملهوفة، ودخلت الحجرة الخاصة به، وجدته ممددًا على ظهره، ونظر إليها عند دخولها، فارتمت عليه في لهفة، وهي تبكي بحرقة، وردَّدت : الحمد لله الحمد لله أنك رجعت لي... فأشار إلى قدميه، فنظرت إلى قدميه، فوجدته بقدم واحدة، والأخرى بُتِرتْ أثناء الاستطلاع، ضرب عليهم العدو !!!، فقالت له:

- هذا وسام شرف لي ولك، وهذا هو ثمن الحب الكبير لبلدك يا بطل، شكرًا لك.

• • •



في الصباح الباكر في شهر من شهور الصيف، في منزل الأستاذ (أدهم أبو المجد) مدير حسابات في إحدى الشركات الحكومية، وهو في العقد الخامس من العمر، طويل القامة، أبيض البشرة، ممتلئ القوام، يستيقظ في الصباح الباكر، ويقوم بعدة ألعاب رياضية في بلكونة المنزل على صوت المذياع... وفي مطبخ المنزل، تُجهز طعام الإفطار زوجة الأستاذ (أدهم) الست (أمينة) وهي ابنة عمه، وكان زواجهما زواجًا تقليديًا، البنت لابن عمها، وهي في العقد الرابع، قصيرة القامة، بدينة بعض الشيء، خمرية البشرة، حياتهما شبه روتينية، منضبطة تقريبًا بالساعة بحكم عمله، يحاول كلٌّ منهما إرضاء الأخر، وعدم إثارة المشاكل، ولديهم اجتماع أُسريّ ثلاث مرات في اليوم، يبدأ في الإفطار، ثم الغداء، والعشاء، ولا أحد يتخلف عن المواعيد طبقًا لساعة محددة.. ولديهما ثلاث وردات جميلات كما يسميهن، ربَّاهن على مبادئ وأخلاق الدين، والتمسك بحقوقهن مهما قابلتهن من مشكلات، ومناصفة المظلوم، والحفاظ على أنفسهن، مهما كلَّفهن الأمر، وعلَّمهن عدم الكذب ومصارحته بكل شيء، مهما كان لا يستحق في نظرهن، وكان يثق في أخلاقهن وتربيتهن، وفعلاً البنات كانوا مطيعات ولا يعصينَّ له كلمة...

الكبيرة (سوسن) وتعمل مُدرِّسة في المدرسة الثانوية، بجانب منزل والدها، فتحضر ابنها الصغير وعمره سنة، ومتزوجة من (تامر) ويعمل ضابط أمن في المطار برتبة نقيب، يوصِّلها في الصباح بسيارته الخاصة ويذهب بعدها إلى عمله...

والوردة الثانية (سهير) في الفرقة الثالثة بكلية الزراعة، وتتميز عن أخواتها برقة المشاعر، وأكثر اهتماماتها زرع الورد في البلكونة والاهتمام به، وهي ترث قُصْر القامة من أمها، ونفس لون البشرة، ولكنها جميلة الملامح وذكية، ومرحة وحبوبة للجميع، وتهتم بأناقتها من ملابس وإكسسوار، ومخطوبة لابن الجيران (خالد) في الشقة التي أمامهم، وهو في نهائي طب أسنان، وهو الابن الوحيد للدكتور (عزيز عبد المنعم) طبيب أسنان، ورجل ذو سمعة طيبة بين جيرانه ومرضاه، وله صداقة وطيدة مع الأستاذ (أدهم) من زمن طويل، ويعتبره أخاه بحكم العِشْرة، وكذلك زوجته (عنايات) ربة منزل، وصديقة حميمة للست (أمينة) كما يلقبها الأستاذ (أدهم)...

أمَّا الوردة الثالثة فهي في المدرسة الابتدائية، ومدللة من الجميع، لأنها أخر العنقود، واسمها (سها) وحصلت على غرفة (سوسن) بعد زواجها لتستقل (سهير) بغرفتها هي الأخرى...

وعندما تنتهي البنات من ارتداء ملابسهن يسرعن بتحضير الإفطار مع أمهن، وكلٌّ يساهم بالمساعدة في مرح، ويتبادلنَّ النكات، وهم يتناولون الطعام حتى ينتهوا، ويرفعون الأطباق مع والدتهن، ويذهب كلٌّ إلى عمله، بعد أن يسأل الأستاذ (أدهم) الست (أمينة) : هل تريدين شيئًا أحضره معي... فتناوله ورقة صغيرة بها الطلبات

التي يحضرها معه، وتدعو لهم جميعًا، وينصرف الجميع، وتحتضن حفيدها، وتبدأ في إطعامه وهي تغنِّي له، وتطلب من الشغالة الصغيرة أن تُسرع في ترتيب المنزل، ليبدأوا في تحضير طعام الغداء.

وفي الكلية تحضر (سهير) المحاضرات مع زملائها وزميلاتها، وتدوِّن المحاضرات، ويذهبون إلى الكافيتريا لشرب الشاي، ويتسامرون ويكملون بقية المحاضرات. وعند انتهاء اليوم يتجمعون في المواصلات، وترافق (سهير) اثنتين من زميلاتها، (رباب) ذات العيون الخضراء والشعر الذهبي، وتتميز بأنها أجمل فتاة في الكلية ولها معجبون كثيرون، وبسببها تتعرض لمعاكسات كثيرة... و(دنيا) الفتاة السمراء، طويلة القوام، وتحصل على معاكسات من المارة عندما تسير الثلاث فتايات مع بعض، حتى يصلوا إلى منازلهن...

وتجتمع الأسرة على الغداء، ويتناولون الأحاديث التي حدثت معهم طوال اليوم، وبعد الغداء كلٌّ يذهب إلى غرفته للقيلولة، ويستيقظون على رائحة الكيك اللذيذ، التي اشتهرت أمهن بإجادة صنعها، وتُسرع (سهير) إلى أمها لتطلب منها طبق كيك لجارتهم الست (عنايات)... وتأخذه (سهير) وتذهب إلى جارتهم وتسلم على (خالد) فهي مُصرح لها رؤيته يومٌ في الأسبوع والخروج معه، وأبلغته بأنهما سيخرجان مع زميلاتها وخُطَبَائهن، في رحلة لجزيرة في الإسكندرية، يوم الجمعة القادم، وسوف يعودون أخر اليوم،

واستأذنت والدها ووافق، فرح (خالد) بهذا الجروب، ورجعت (سهير) إلى بيتها لتبدأ الاستعدادات للرحلة التي سيقومون بها بعد يومين، وطلبت من والدتها أن تُجهِّز لهم الطعام المناسب...

بدأ الجروب في التحرك، وكان عددهم عشرة، خمسة شباب وخمس فتايات من ضمنهم (سهير وخالد)... وصلوا إلى الجزيرة، وبدأوا في نصب الخيمة الخاصة بالفتايات، وجهَّز الفتايات الحطب لإشعال النار لتسخين الطعام وعمل الشاي، وعندما انتهى الشباب من نَصب الخيمة الخاصة بالفتايات، جهَّزوا الخيمة الخاصة بهم، وبعد الانتهاء من الطعام قرَّر الشباب الاستحمام في ماء البحر، والفتايات يلعبن ويمرحن بالكُرة هنا وهناك، والكرة بعدت، فذهبت (رباب) لإحضارها من وراء الصخرة، وانتظرت بقية البنات، ولكنها لم تحضر، فذهبت (سهير وسارة) وأيضًا لم يحضرا، فظنت الفتاتان (دنيا وعلا) أن الثلاثة يلعبون لعبة الاستغماية، وليس الكرة، فذهبوا وراء الصخرة ليفسدا لعبتهن... ولكن الأمر كان غير ذلك...!!!!

وخرج الشباب من البحر وهم يعتقدون أن البنات يمرحنَّ خلف الصخرة، فبدلوا ملابسهم، وانتظروا وانتظروا... ومرَّ وقتٌ طويل، ولم تظهر فتاة من الفتايات، فبدأ القلق يساورهم، وذهبوا وراء الصخرة لاكتشاف الأمر... ولكن لم يجدوا أحدًا !!!

ونادوا عليهم دون جدوى، وبحثوا عنهم في كل مكان في الجزيرة، وتسلقوا هنا وهناك، ولم يصلوا لشيء يدلهم على البنات، فرجعوا إلى الخيام لعلهم عدنَّ، ولكن دون فائدة، فقرَّر اثنان منهم ركوب

القارب، واللجوء إلى الشاطئ لطلب النجدة، وينتظر ثلاثتهم على الجزيرة بجانب الخيام لعل البنات يعدنَّ...

أخذ (خالد وسامي) القارب، وجدَّفا بكل عزمهما لكي يصلا إلى الشاطئ، ولكن وجدا القارب بدأ يتسرب بداخله الماء، فبه ثقب في أول القارب وثقب أخر في المنتصف، وما أن أصبحوا في عرض البحر؛ كان القارب قد امتلأ بمياه البحر، وبدأ في الغرق.. فتركا القارب، وبدآ يسبحان بكل قوتهما، والوقت ينفد والتعب تملك منهما، والأمواج تلاطمهما، وتسحبهما تارة وتقذف بهما تارة أخرى، وهما يشجِّعان بعضهما البعض، لكن لطمتهما موجة شديدة ففرقتهما عن بعضهما، وغطس (سامي) ولم يظهر، وأخذ (خالد) يبحث عنه، وينادي عليه دون جدوى، فرأى أن الشاطئ أصبح قريبًا منه، فبدأ السباحة بكل ما أوتي من قوة حتى وصل إلى الشاطئ... وأخذ يجري ليطلب نجدة الشاطئ، وعندما وصل إلى مركز الشرطة، وأخذ الضابط المختص كل البيانات، وأبلغ شرطة المرافق لاتخاذ اللازم، وطلب أهله (الدكتور عزيز) وحكى له ما حدث، وطلب منه نجدته هو وزملائه وخطيبته، وأسرع (الدكتور عزيز) بإبلاغ (الأستاذ أدهم) بما حدث وارتبك الأهل وقرروا السفر... وركب الجميع سيارة (الدكتور عزيز) واتجهوا إلى الإسكندرية، وهم يتصلون بمعارفهم ليساعدوا أولادهم...

وطلب (خالد) من الشرطة السرعة في التحرك، حتى لا يصيب البنات مكروهًا، وبالفعل تمَّ تجهيز القوة وأسرعت بركوب القوارب

الخاصة بهم، وكلَّفوا مركبًا آخر بالبحث عن (سامي) الذي لاطمته الأمواج وبعدته ولم يظهر...!!!

في هذه الأثناء تذكَّر (خالد) الأيام الأولى من حياته التي قضاها مع (سهير) وأختها وهم صغار، وكيف كان أخًا أكبر لهما، وحريص على ألا يؤذي مشاعرهما أي زميل في المدرسة، أو النادي، ولا يحلو لهم أي طعام إلا مع بعضهم البعض، كذلك الأهل مدى ارتباطهم وحرصهم على قضاء إجازة الأسبوع مع بعضهم، في أماكن الخلاء لشوي اللحوم، وكيف تربوا على حب بعضهم، وعندما فكَّر في الارتباط بـ(سهير) رحَّب الأهل والأقارب... وأخذ يبكي بحرقة خوفًا من أن يفقد أخته وحبيبته ورفيقة عمره، وتخيل كيف يبرِّر للأهل إهماله في صيانة الأمانة؛ حُبّ عمره.

وعندما وصلت الشرطة ومعهم (خالد) إلى الجزيرة لم يجدوا الخيام، ولا أي شيء يدل على وجودهم، انهار (خالد) وفقد أعصابه وأخذ يصرخ وكاد أن يُجنّ، وأخذ يجري هنا وهناك، ودخل الغابة الموجودة في الجزيرة، وهو ينادي على أصحابه، والشرطة تبحث في كل مكان، حتى وجدوا صخرة كبيرة من الممكن أن تتحرك تسد فوهة كبير، فأزاحوا هذه الصخرة، وبدأ الظلام ينكشف!!!...

وسلَّطت الشرطة الكشَّافات... وفجأة ظهر البنات والشباب الثلاثة بالداخل، ومعهم أناس آخرون ملامحهم تدل على أنهم من القارة الإفريقية، يتحدثون اللغة الإنجليزية، فطلبت الشرطة خروج الجميع من الكهف، وفك قيود المصريين المحتجزين، المكممين الأفواه،

واندفع (خالد) لفك قيود (سهير) وزملائه، وفتحت الشرطة الكشافات حتى يتبين لهم ظهور الجميع... وركب الجميع قوارب الشرطة، وعندما وصلوا إلى الشاطئ، وجدوا صديقهم (سامى) ممددًا على الرمال!!!... اندفع أصدقاؤه إليه، ولكن الشرطي أشار إليهم بعدم الاقتراب، لأنه أصبح جثة هامدة!!!...

انهار الجميع، وأخذوا يصرخون، ولكن الشرطة أبعدتهم، وطلبت منهم الذهاب إلى قسم الشرطة لاستكمال التحقيق...

وفى قسم الشرطة كان الأهل قد وصلوا وحمدوا ربنا على رؤيتهم مرة أخرى...
وتبيَّن من التحقيقات أن مجموعة من الأفارقة، تركوا بلدهم واستقروا على هذه الجزيرة، وكان هذا الكهف هو السكن الخاص بهم، وتعايشوا فيه، ولم يقصدوا إيذاء أحد، ولكن كانوا يرهبونهم حتى لا يحضروا مرة أخرى... وانتهت التحقيقات بتحويل الأفارقة إلى النيابة، أما جروب الأصدقاء قصَّوا كيفية خطفهم للنيابة، التي سمحت لهم بالعودة إلى منازلهم، وطلبوا قبل انصرافهم؛ السماح للأفارقة الإقامة على الجزيرة، لأنهم فعلاً لم يتسببوا لهم في أذى...

وذهبوا جميعهم إلى القاهرة، لحضور عزاء صديقهم (سامى) الذي حزنوا عليه كثيرًا، وقاموا بزيارة قبره وقراءة الفاتحة وتعاهدوا على المداومة على وصل الصلة بأهله باستمرار.

• • •



تشرق الشمس على مدينة ساحلية، في يوم من أيام الشتاء، في شهر يناير شديد البرودة، يتجمع الصيادون عند شاطئ المدينة، في نشاط كالعادة، رغم كثرة الرياح، يردِّدون في صوتٍ واحد : (الرزق يحب الخفية والرزاق هو الله)...

يعلو صوت شيخ الصيادين (عمّ غزال) رجل تعدى الخمسين من العمر، طويل القامة عريض المنكبين، أسمر اللون يكسو ملامح وجهه الصرامة والقوة، ويلتف بالشال الذي يتخفى به من شدة البرد: هيا هيا يا رجال الرزق على الله... هيا اصعدوا على القوارب....
وبالفعل يصعد الصيادون بسرعة الريح، ولا يخالف أحدٌ أمرًا، لأن الجميع يهابونه، فهو كبيرهم...

وبإشارة من يده، تبدأ القوارب في السير في اتجاهات مختلفة، كما أشار شيخ الصيادين، وفي مكان معين يقفون، ويرمي الصيادون الشِباك في وقتٍ واحد، ويلَم الشباك الصيادون، ويرجعون بالخير الوفير، ويبتاعون ويرجعون كله برزقه إلى بيته، ومن بينهم (عم غزال) يستقبله زوجته وأولاده...

زوجة عم غزال سيدة متوسطة الطول، وسمينة بعض الشيء في حجمها، وهي تشبه (عم غزال) في الوجه الأسمر والصرامة، ولديهم من الأولاد: فتاة اسمها (قمر) في سن الصبا، رغم أنها ترث من والديها سَمار البشرة، لكنها تتميز برقة الملامح والإحساس، وتناسق القوام، وينسدل على كتفيها شعر في نعومة الحرير، وسواد الليل، ومن صفاتها الحسنة أنها حنونٌ على والديها، وكان والدها يقول بأنه سيُزَّوَجها أحسن شاب في العائلة، وسيُحضر لها أحسن جهاز، لأحلى (قمر)، فكانت تزيد من دلالها، وتشترط أن يكون الجهاز من مدينة غير مدينة الصيادين... ولها أختٌ تصغرها بسنوات، ما زالت في عمر الزهور، ويكبرها أخٌ بسنوات، كثير الشبه بأبيه في الملامح والصفات الجدية والحزم، ولا يحب مهنة الصيد فهو يهاب البحر، وفضَّل أن يعمل عمل مختلف عن أبيه، ففتح مقهى للصيادين، وتساعده زوجته ابنة عمه، ولهما طفلة صغيرة (الصيادون لهم العادات والتقاليد الخاصة بهم).

والصيادون أبناء عمومة وأخوال، منهم من يعمل بصُنع القوارب، ومنهم من يعمل في صُنع الشباك، التي يصطادون بها، ولا يدخل بينهم غريبٌ مهما كان، ويبتاعون السمك على الطرق السريعة...

اعتادت ابنة عمّ غزال (قمر) أن تذهب إلى أخيها في المقهى، بالحلويات التي تصنعها وتجيدها، فكانت تذهب مع قريناتها إلى الشاطئ القريب من المقهى، لتلهو وتلعب معهنَّ، ويتبادلنَّ النِكات والضحكات... وفي المقهى يلتقي الصيادون، للترفيه عن أنفسهم،

ومن رواد المقهى (حسين) ابن خالتها، شاب قوي البنيان، مفتول العضلات، يتميز بابتسامة تملأ وجهه الصبوح، يحبه الجميع، لشهامته المعهودة مع الجميع، وكان ينظر إلى (قمر) من بعيد، وسبق وطلب الزواج منها ووعده (عم غزال) بأن يزوَجها له في الصيف القادم، حتى يكون قد أتمَّ بناء البيت الخاص بالعروسين، ولكن كان لـ(قمر) رأيٌ آخر لعدم رغبتها في الزواج من بيئتها، تُريد أن ترى حياة أخرى، في مكانٍ آخر، وهي تحلم بأن يأخذها فتى أحلامها إلى حياة المُدن الواسعة، ولبسٌ آخر، وعمل آخر...

وفي يوم من الأيام، راحت تُحدِّث أمها في عدم رغبتها في الزواج من (حسين) ابن خالتها، فنهرتها أمها، وحذَرتها من تكرار الحديث في هذا الأمر مرة أخرى، وإلا سوف تلقى من أبيها ما لا يُرضيها.

وفي يومٍ قرَّر (عم غزال) الخروج بمركب كبير، واصطحب معه (حسين) و(قمر) ليُحضر لهم الجهاز الخاص ببيت الزوجية... فرحت (قمر) بهذه الرحلة التي سوف تُمكّنها من رؤية مدينة أخرى غير التي تعيش فيها، وبالفعل جهَزت لهم زوجة (عم غزال) الطعام الذي يحتاجونه في هذه الرحلة، وودَعهم الأهل، وشدوا الرحال، وسارت المركب بهم يومًا كاملاً، وكانت (قمر) تُجَّهز لهم الطعام والحلوى، ويتناولونها، وكان (حسين) كلما اقترب من (قمر) تحاول أن تتحاشاه، حتى وصلوا المدينة التي يرغبون الشراء منها...

وأثناء سيرهم في الشوارع، كانت (قمر) في حالة انبهار بما تراه من أشياء غريبة عنها، نساء ورجال يرتدون ملابس مختلفة عن

ملابسهم، وسيارات مختلفة الأشكال والألوان، وكذلك مطاعم ومحلات وعمارات، وأبوها يمسك يديها كأنها طفلة، أول مرة تتعلم السير، وقف (حسين) يشتري لهم (آيس كريم) ففرحت كالأطفال، وفي هذه الأثناء، وقفت سيارة ونزل منها شاب وفتاة، يرتديان ملابس مختلفة عن ملابس (قمر)، وعرض الشاب على فتاته تناول الآيس كريم، ووقفا بجانب (قمر)، وأخذ الشاب ينظر إلى (قمر) وهي الأخرى تنظر إليه في انبهار، كأنها أول مرة ترى شابًا أمامها، وهنا لاحظ (حسين) هذه النظرات فطلب الانصراف، وهو يشتاط غيظًا، فركب الشاب السيارة، وأخذ يتتبع (قمر) من بعيد، حتى عرف مكانهم إلى المركب الذي يبيتون فيه، وانصرف.

ودخلت (قمر) الحجرة الصغيرة التي تنام فيها هي وأبوها (عم غزال)، أمَّا (حسين) فكان يبيت على سطح المركب، ويلتف بالبطاطين، والجميع يغط في النوم... فجأة شعرت (قمر) بمن يُوقظها، فرأته الشاب الذي كان ينظر إليها!!!... طلب منها أن تصحبه في هدوء، قبل أن يستيقظ أحد ويراهم... وبالفعل تسللوا في هدوء حتى خرجوا من المركب، واستقلوا السيارة، وهي في حالة اندهاش مما فعلته، وألقى على مسامعها أحلى كلام تُحب أن تسمعه أي فتاة في مثل سنها، عن جمالها ورقتها وشعرها، وهي الأخرى تغنت معه بكلمات كانت تحلم أن تتفوَه بها لفارس أحلامها، ومن كثرة فرحها بهذا الشاب، شعرت ان الشجر والورود تتغنى لهم، ولم تشعر بسير السيارة، ولكنها كانت تشعر

بأنها تطير مع هذا الشاب، ووصلا إلى منزل، فطلب منها الشاب أن تصعد معه إلى المنزل، وبالفعل صعدت معه، وفجأة تحوَل هذا الشاب إلى ذئب بشري... فأخذت تصرخ وتقاومه بكل قوتها... وفجأة وجدت من ينقذها منه؛ شاب آخر، يطرحه أرضًا، ويلكمه لكمات قوية... وكان هذا الشاب هو (حسين) ابن خالتها، فارتمت في حضنه، وهي تشكره على انقاذها من هذا الوغد... وشعرت بيد تهزَها، وجدت أبيها (عم غزال) يُوقظها من نومها... فأدركت أنه كان كابوسًا، فانتفضت من نومها، وشكرت ربها أنه مجرد حلم، وطلبت من أبيها العودة إلى بيتهم، حتى تتزوج من (حسين) ابن خالتها، وأنها لا تريد شراء شيء... وبالفعل شدَوا الرحال إلى مدينة الصيادين، وهي فرحة بالعودة إلى حضن أمها وأهلها، وأقاموا الأفراح بعودة العروسين، وأصبح (حسين) هو فتى أحلام (قمر).

• • •



قرأتُ منذُ زمنٍ ثلاثَ قصصٍ عن عاقبة الصبر وجزاء الصابرين:

- القصة الأولى -

أرادت أمٌّ أن تعلِّم طفلها حبَّ الله جلَّ شأنه، فكانت تستيقظ مبكرًا، وتتركه نائمًا، وتذهب إلى السوق، وتحضر كل ما يشتهيه طفلها، وعندما تدخل البيت تُخبئ ما أحضرته، وبعد ذلك توقظ ابنها، وتُدخله الحمام ليتوضأ، وتبدأ في تعليمه الصلاة، وعلَمته أن يدعو الله في صلاته، أن يرزقه بما يشتهيه من طعام أو لِعب، وبالفعل كل حينٍ تُفاجئه بشيء أحضرته له، وأيضًا علَّمته أن يسجد لله شكرًا على تلبية دعائه... واعتاد الطفل على الصلاة والدعاء والسجود شكرًا لله، وهي أيضًا لم تقصِّر يومًا في إحضار ما يشتهيه الطفل...

وفى يوم خرجت كعادتها إلى السوق لإحضار احتياجات الطفل، وفُوجئت بمجموعة لصوص هجموا على السوق، وسرقوا مجموعة من المحلات... وعند وصول الشرطة، أخذوا مجموعة من الرهائن حتى يتمكنوا من الهرب، وللأسف كانت أم الطفل من ضمن الرهائن، وأخذت الأم تبكي وتصرخ، وتستحلفهم أن يتركوها لأن ابنها طفل صغير في البيت، ويحتاج من يرعاه، ولا يوجد غيرها له في الدنيا، ولكنهم لم يستجيبوا لطلبها...

وبعد فترة طويلة تمكنت الشرطة من الإمساك باللصوص وهرولت الأم المسكينة إلى البيت مسرعة، وهي تدعو الله أن لا يصيب ابنها مكروه، وما إن وصلت الأم، وفتحت باب المنزل، حتى وجدت المنزل مفروشًا من خيرات الله، من كل صنف ولون، ووجدت ابنها يسجد شكرًا لله، بمجرد أن رآها، فسألته، فأجابها بأنه فعل ما اعتاد عليه من الصلاة والدعاء، وعندما يجد ما طلبه من الله يسجد شكرًا لله، وعندما حضرتِ يا أمي كنتُ صليتُ ودعوتُ ربي أن تعودي، وعندما رأيتك سجدتُ أشكر ربي...

واحتضنت الأم الطفل وهي سعيدة بمحبة الله.

• • •

- القصة الثانية -

زوجة تراعي الله في زوجها، وترعى شؤون بيتها، ولكن ربي رزقها بزوج قاسي المشاعر والإحساس، عندما يخرج من عمله، يسهر مع أصدقائه حتى منتصف الليل، ويعود يترنح من أثر الخمر، ويجد الزوجة أعدَّت له العشاء، ولكن غلبها النوم بجانب طاولة العشاء، فيثور عليها كالثور الهائج، ويطيح بها ضربًا مبرحًا، ويجبرها على الاستيقاظ الباقي من الليل على كرسي غير مريح عقابًا لها... وكانت هذه الزوجة تتحمله لأنها ليس لديها من يهتم بها...

كان يفعل معها ذلك كل يوم، وإن وجدها يقظة وفي انتظاره، لا يتهاون في ضربها وإذلالها...

وفى يوم رجع ووجدها نائمة، فأراد أن يُوقظها بالضرب كعادته، فوجدها بلا حراك وفارقت الحياة، فأخذ يصرخ ويلطم وجهه، وذهب إلى المدفن، وطلب من التُربي أن يدفنه معها خوفًا من عقاب الله، ولكن هيهات...

ومنذ ذلك اليوم لم يفارق قبر زوجته، ويبكي ليل نهار، وكلما رأى أحدًا، يطلب منه أن يدعو له، أن يغفر الله له...

عزيزى القارئ هل تدعو له.

• • •

- القصة الثالثة -

صبيٌّ في عمر الزهور، كان وحيد أبيه وأمه، من عائلة فقيرة لا تملك قوت يومها، يخرج والده في الصباح الباكر ليسترزق هو وزوجته، ببيع بعض الأشياء البسيطة من خضروات، ويعود هو وزوجته أخر اليوم ليطعما ابنهما، ويناموا الليل في هدوء...

وفي يوم خرجا كعادتهما في الصباح الباكر، ولم يعودا إلى البيت، وانتظر الصبي يومًا واثنين وثلاثة وأربعة، ولكن دون فائدة، وحضر صاحب البيت وطرد الصبي في الشارع، وتجوَّل الصبي من شارع إلى شارع أيام كثيرة، دون أن يجد مكانًا يأويه من البرد والجوع... أخيرًا وجد بيتًا في نهاية الشارع الذي يسير فيه، فقرَّر أن يطرق الباب ليطلب طعامًا، حتى يشعر بالدفء، وطرق الباب، ففتحت الباب شابة وسألته: ماذا تُريد؟

فأجابها في خجل شديد: كوب من الماء.

فذهبت وأحضرت له كوبًا كبيرًا من اللبن، وسألته :هل تُريد شيئًا آخر؟

فأجابها بالنفي وانصرف...

وهو يسير في طريقه، بعد أن شعر بالدفء، وجد إعلانًا على باب عيادة طبية، يطلب عامل نظافة، فطرق الباب، وتقدم للعمل، وقبلوا تعيينه، وأشفق عليه الطبيب بعد أن عرف قصته، وسمح له بالمبيت في العيادة بعد انصراف المرضى، ويغلق باب العيادة، ويبدأ

التنظيف حتى يتعب وينام... ومع مرور الأيام، تعلَّم أشياء كثيرة من مرافقته للطبيب، وطلب من الطبيب أن يساعده في أن يتعلم، وبالفعل استجاب الطبيب، وبدأ يساعده حتى أصبح طبيبًا مثله، واشتركا معًا في عمل مستشفى كبير...

وفى يوم حضرت سيدة بورم خطير في المعدة، وأجرى لها العملية (الصبي الذي أصبح طبيبًا مشهورًا)... ونجحت العملية وطلبت السيدة وأهلها الخروج من المستشفى، لتكملة العلاج في البيت، توفيرًا للمصاريف، ولكن الطبيب رفض بشدة خروجهم إلا عندما يسمح لهم بذلك، وعندما طلبت فاتورة الحساب، أحضر لها الموظف المسئول ورقة مطوية، فتحتها فوجدتها مرسومًا فيها كوبًا من اللبن!!! وشكرًا خاصًا من الطبيب المشهور.

• • •



نهار مشرق في محطة السكة الحديد، كثير من الركاب في حالة صعود وهبوط للقطار المتجه إلى القاهرة، وتسابق للباعة الجائلين على كل صنف ولون؛ مأكولات ومشروبات وجرائد، وهكذا... ويصعد إلى القطار الفقير والغني والمعدم والشحات، وهكذا أيضًا... وتزاحم على الأبواب في حالة الصعود والهبوط، وذلك يحدث كل يوم عند ذهاب (ماجد) إلى الجامعة؛ فهو معيد في كلية الهندسة، هو شاب وسيم، خمري البشرة أنيق في ملبسه، يحمل حقيبة صغيرة للأوراق الخاصة به، يجلس على المقعد المجاور للشباك، ويطلب فنجانًا من القهوة يحتسيها في هدوء، وأحيانًا يشارك في الحديث مع من يجلس بجانبه، أو يقضي الوقت في القراءة، لا يستغرق القطار كثيرًا، ساعة ونصف بين بلدته والقاهرة، وعندما يصل إلى الجامعة يلتف حوله الطلبة من الفِرق المختلفة ويسلم عليهم ويصعد إلى مكتبه في الكلية.

وفي موعد محاضرة الفرقة الأولى، يسير في خُطى ثابتة، وتبدأ المحاضرة، ويتحدث (ماجد) مع الطلبة للتعرف عليهم ويعرف كل طالب وطالبة بنفسه، ويبدأ في شرح المحاضرة، وينتهي من محاضرات اليوم ويسرع بمغادرة الكلية ليلحق بالقطار...

وفي أثناء خروجه مسرعًا خارج الجامعة ليستقل تاكسي، صدمته سيارة... ونُقل إلى مستشفى الجامعة.
وفي المستشفى كشفت عليه الدكتورة (علياء)، ونتيجة الكشف: كسر في الساق اليُمنى... طمأنته وتمَّ عمل الجبيرة، وطلبت منه الاتصال بأهله لاضطراره المبيت بالمستشفى لمدة أسبوعين...

الدكتورة(علياء) ممشوقة القوام، بيضاء البشرة، حسنة الطباع تتميز بالمرح، وشغوفة لمساعدة الغير، رحيمة بالفقراء، رغم أنها ابنة مدير المستشفى، لكنها متقنة في عملها وتنال محبة واحترام الجميع، وrومانسية وتتمنى الزواج عن حب واقتناع...

قبل أن تغادر المستشفى، لا بد أن تتفقد جميع الحالات التي كشفت عليها، ومتابعتها، وكان (ماجد) له النصيب الأكبر في الحديث اليومي، يعرِّفها على الطلبة والطالبات الذين ينظمون زيارات يومية له، وأحيانًا أهله (أمه وأبوه وإخوته).

وفي يوم من الأيام لاحظت وجود سيدة متوسطة العمر، قصيرة القامة، ممتلئة الحجم، ترتدي إيشاربًا تُخفي به معظم وجهها، تتواجد أحيانًا لزيارة (ماجد)، فأثارت فضولها، وقرَّرت أن تسأل عن هذه السيدة الغامضة... ولكن لم يكن الجواب وافيًا، غير إنها من (العيلة) !!

بدأ (ماجد) يتماثل للشفاء، وأيضًا كان الحب تملك من قلبيهما فعرض (ماجد) عليها الزواج؛ فقبلت، وخطبها في حفل كبير، ضمَّ أهل العروسين والأصدقاء والطلبة...

وبدأ العروسان في تجهيز (عش الزوجية) وكانت (علياء) تعيش أسعد أيام حياتها بهذا الحب الذي تمنته وحلمت به ليالٍ طويلة...

وفي يوم وهي في مكتبها بالمستشفى حضرت تلك السيدة الغامضة التي كانت تزور (ماجد) أثناء مرضه، فرَّحبت بها وأجلستها... وكانت هذه السيدة خرساء لا تتكلم، ولكنها قدَّمت إليها ورقة مطوية، ففتحتها، وجدتها قسيمة زواج بين هذه السيدة و(ماجد)... صرخت (علياء) من المفاجأة... وأيضًا أحضرت شهادة ميلاد لطفل يبلغ من العمر خمس سنوات... لم تصدِّق (علياء) ما رأته، ولم تفهم شيئًا من هذه السيدة، فطلبت منها أن تحتفظ بالأوراق حتى تتأكد وسوف تعيدها إليها مرة أخرى، وبالفعل أخذت الأوراق وذهبت إلى الكلية لمقابلة (ماجد) ووصلت إلى مكتبه، وكان في هذا الوقت في محاضرة فانتظرته في المكتب، وعندما انتهى من تدريس المحاضرة، صعد إلى المكتب ووجد (علياء) في انتظاره، ففرح بوجودها، وسألته وهي غاضبة:

- لماذا لم تصارحني بأنك متزوج؟!!!

وأشهرت في وجهه القسيمة التي أعطتها لها السيدة...

- وأيضًا لديك طفل عمره خمس سنوات !!!

ظهر الغضب على وجهه وقال:

- لأنه زواج تقليدي فُرض على من أبي لأنها (ابنة عمي) وهي خرساء، وخوفًا على الميراث أن يخرج (برة العيلة) فطلب مني أبي أن اتزوج ابنة عمى، ولي الحرية في الزواج كيفما أشاء مرة أخرى.

- كيف تحلِّل هذا لنفسك وأنت مُعلم أجيال، تستبيح أن تظلمها لمجرد الميراث، وتخدعني باسم الحب... ما هذه المهارة ؟!!!

- أنا لم أظلم ولم أخدع أحدًا، أنا فقط استعمل حقي.

- آسفة أني صدقتك، ولن أشاركك هذه الجريمة في حق المسكينة، التي أوقعها حظها العاثر في طريقك.

وألقت الشَّبْكة في وجهه وانصرفت...

- كم شخصية مثل (ماجد) يظلم النساء بالزواج المتعدد ويسَّميه حقه؟ !!!

وكم شخصية مثل (علياء) تتصدى وترفض؟!!.

• • •



حكاية أميـرة

(أميرة) فتاة في المرحلة الثانوية، تتميز بمبادئ وأخلاق عالية وملتزمة بدينها، وتسعد بمساعدة الغير، وتسعى لإرضاء ربها... ورغم أنها متوسطة الجمال، لكن يكسو ملامح وجهها براءة الأطفال، ويتهافت على مصاحبتها الجميع صغارًا وكبارًا، لأن الجمال الحقيقي يكمن في البصيرة... تعيش مع والدها ووالدتها اللذين تشملهما برعايتها وطاعتهما مهما كلفاها فوق طاقتها، لا تعصي لهما أمرًا مهما كان ظالمًا بالنسبة لها، وليس لها أي طلب مثل أختها التي تصغرها، والتى تستغل تدليلهما لها بكثرة الطلبات، وتلقي لأختها الأكبر منها بما يفيض منها، لكن في الحقيقة (أميرة) لا تهتم بما يُلقى لها، وأيضًا لها أخٌ يكبرها لا يقل أنانيةً عن أخته الصغرى، وهي لا تعير الأمر أهمية، ورغم صغر سنها لكن كانت تعتبر نفسها شريكة مع والديها في تدليلهما...

من ضمن صديقات (أميرة) في الفصل الدراسي صديقة كانت تتباهى بما حباها الله من جمال الخلقة اسمها (سميحة)، ولكن حرمها من النعمة الحقيقية وهي جمال الروح، لفتت (سميحة) نظر شاب في نفس السنة الدراسية مميز باهتمامه بالملبس والثراء اسمه

(أحمد) وبدأ يراسلها بالمكتوب والهدايا الغالية، وهي تستقبل هذا بالسخرية منه هي وأصدقاؤها... وكانت (أميرة) ترى وتسمع فتستنكر هذا العبث بمشاعر (أحمد)، وتنهر زميلتها وتخيفها من عقاب الله، ونصحتها بأن ترد له هداياه، وتطلب منه عدم مراسلتها مرة أخرى.... ولكن (سميحة) لم تعر أي اهتمام للنصيحة، وقابلت النصيحة باستهتار، واستمرت على ذلك حتى أعلنت خطبتها على رجل أعمال، وبعد انتهاء حفلة الخطوبة، وانصراف المدعوين رأت (أميرة) (أحمد) وهو يسير حزينًا، لكنها لم تجعله يراها ودارت نفسها عنه، حتى لا تحرجه، لكنها أشفقت عليه، ورجعت يشغل تفكيرها، وفي حقيقة الأمر لا تستطيع مساعدته...

وبدأت امتحانات أخر العام، وكان الجميع يلتقون، فتبحث (أميرة) عن (أحمد) من بعيد لتطمئن عليه، دون أن يراها..

وانتهت الامتحانات وظهرت النتيجة ونجح الجميع لكن بنسب متفاوتة، وذهب كلٌّ إلى كليته المختلفة عن الآخر، وكان نصيب (أميرة) كلية الآداب، و(أحمد) كلية اقتصاد وعلوم سياسية، لكن كل واحد في محافظة تختلف عن الآخر.

مرَّ عامان لم يرَ أحدهما الآخر، لكن (أميرة) أيقنت أن شعورها نحو (أحمد) يزداد يومًا بعد يوم، رغم تهافت العرسان وملاحقة زملائها لها، لكن كانت تهرب من الجميع بحجة الدراسة. وفي هذه الأثناء كانت تتفانى في خدمة والديها وتفضيل أخويها عليها، وهي لا تعير تلك الأمور أي أهمية فهي اعتادت على تجاهلهم لها، لا

يشعرون بأحقيتها كإنسانة وليست خادمة، فكانت لا تذهب إلى جامعتها ولا تستذكر دروسها إلا بعد الانتهاء من أعمال المنزل.

وفي يوم وهي تجلس مع صديقاتها في بوفيه الكلية رأت (أحمد) يجلس على الطاولة التي أمامها، وينظر لها تارة وينظر إلى كوب الشاي الذي أمامه تارةً أخرى... كادت لا تصدق نفسها، ولكن كأي فتاة ملتزمة تماسكت بسرعة، وابتسمت ابتسامة خفيفة ، فوجدته يتقدم نحوها ويمد يده للسلام عليها، فبادلته السلام، فوضع في يديها ورقة مطوية، وسألها الأسئلة العادية عن العائلة وعن أخيها، وانصرف حتى لا تُحرَج أمام صديقاتها، وهي تصرفت بذكاء؛ أخفت الورقة دون أن يراها أحد، وأكملت محاضراتها... وأثناء انصرافها إلى البيت أخرجت الورقة، وجدته جوابًا...

(اعذريني لاقتحامي المفاجئ، أرجو التماس العذر، ولكن وجدت طيفك يشغل حياتي ليل نهار، وأتمنى من الله أن أكمل معكِ حياتي، فأرجو أن تسمحي لي بمقابلتك غدًا الساعة العاشرة في كازينو النيل... إذا كنتِ تشعرين نحوي بمشاعر مختلفة عني لا تحضري، وأتمنى لكِ السعادة مع من يختاره قلبك).

بعدما انتهت (أميرة) من قراءته، انتابها القلق والخوف، ورعشة تملكت جسدها، كأنها أصابتها حُمى، وحاولت التماسك حتى وصلت حجرتها، وجدت أختها أمامها وحاولت أن تداري اضطرابها لكن لم تفلح، وأيقنت أختها أن (أميرة) وراءها شيئًا ما... فأغلقت الحجرة وسألت (أميرة) ما بها... وقصت (أميرة) كل شيء

لأختها وأطلعتها على الرسالة الخاصة (بأحمد)... فرحت أختها (سمر) وبدأت تهدئ من روعها (أميرة) وشعرت لأول مرة أن أختها (سمر) تهتم بها فهدأت، وبدأت الأختان ترتبان لهذا اللقاء...

وفي الصباح، استيقظت الفتاتان وأنها أعمال المنزل بسرعة، وأسرعا مع بعض إلى المكان المتفق عليه، وقرَّرت (سمر) أن تتسوق بالقرب من (أميرة) حتى تشعرها بالأمان وهي في أول تجربة لها... وأخذت (أميرة) ترتل آيات من القرآن والذكر حتى شعرت بالأمان، ووصلت حتى رأت (أحمد) يجلس على طاولة، فاستقبلها وهو يبتسم وعرض عليها شيئًا تشربه؛ عصير برتقال، وسألها إن كان تسبب لها في مشكلة، فأجابت بأنها تريد أن تسمعه وهو يتحدث عن نفسه، وبالفعل بدأ الحديث بأنه يحبها، ويتمنى أن يتزوجها بعد التخرج من الجامعة...

سألته متى بدأ التفكير فيها؟ فأجابها بأنه منذ فترة طويلة، وعندما تأكد من شعوره قرَّر أن يحضر ويعترف لها... فشرحت له وضعها وأنها لا تريد أن تتقابل معه في السر، وأن الحب الحقيقي هو الذي يبدأ في النور، وأول من لهم حق المعرفة هو أهلنا، وهي لا تستطيع مقابلته بدون معرفتهم، ورجته أن يلتمس لها العذر في عدم مقابلته وحدها مرة أخرى، فطلب منها مراسلتها والتحدث معها في التليفون كل أسبوع في موعد محدد، فقبلت (أميرة) هذا الأمر مؤقتًا، وانصرفا على حسب الاتفاق...

استمر الاتفاق على الوعد لمدة أشهر قليلة، مع بعض المحاولات أثناء الاتصالات أو الرسائل للتأثير على (أميرة) لمقابلته ولو مرة واحدة، لكن كانت تتصرف في الحال وتثنيه عن محاولاته... وكان يفاجئها في الكلية عندما يشتاق إليها، فعرَّفته على صديقاتها وزملائها، وأصبح الجميع أصدقاء...

وفي يوم حضر إلى الكلية وطلب منها أن تذهب معه إلى شركة أبيه لأنه يريد التعرف عليها وهو الآن في انتظارها، لكنها اعتذرت وطلبت منه أن يزورهم في البيت ويتعرف على والدها وهي على استعداد للإجابة على أي سؤال... فانصرف في عصبية شديدة من هذا الرد الذي لم يتوقعه منها، فحزنت (أميرة)، وكعادتها كتمت حزنها في نفسها... وعندما وصلت إلى المنزل، قصَّت على أختها (سمر) فعنفتها على هذا التصرف: (هو كان أبوه هياكلك ؟) فزاد حزن (أميرة) لأن ذلك مبدأ عندها وحدها... ولجأت إلى الصلاة وتلاوة القرآن حتى تستمد القوة منه.

وفات يومان وهي تبحث عن (أحمد) في كل مكان تذهب إليه وتجده يفاجئها بوجوده دائمًا، ولكن دون جدوى... ورغم ذلك لم تفقد إحساسها بأن الله يكتب لها الخير دائمًا... ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ حتى أبلغها أبوها بحضور (عبد المقصود بك) هو وابنه (أحمد) ليطلبوها اليوم للزواج، ففرحت (أميرة) وشكرت ربها، وبدأت التحضيرات لاستقبال العريس وأهله...

وطلب (عبد المقصود بك) أن يجلس على انفراد مع (أميرة) فوافق الجميع... فبدأ كلامه بأن (أحمد) هو ابنه الكبير إخوته، وهو المسئول الأول عن الشركة والصرف على إخوته بعد التخرج من الجامعة، وهو استبشر في (أميرة) الخير بأنها تقف بجانبه حتى يكون من أكبر رجال الأعمال في مجال الأجهزة الكهربائية، ويجب عليها تقديم بعض التنازلات في مساعدته على الارتقاء بمستوى العائلة : فكَّري جيدًا قبل اتخاذ القرار.

ففاجأته (أميرة) بأنها على استعداد لتحمل المسئولية مع (أحمد) إلى أخر يوم في عمرها وهذا وعدٌ منها...
فرح بها (عبد المقصود بك) وأجابها بأنها فعلاً الفتاة التي كان يتمناها لابنه.

وانتهى المجلس بلبس (الدبل) وفرح الجميع... وفي اليوم التالي احتفل الأصدقاء بخطبة (أميرة وأحمد) في بوفيه الكلية وهنأهم الجميع...

واستمر الحال حتى تخرج (أحمد وأميرة) في نفس السنة، ووجدت (أميرة) (أحمد) تغير معها فجأة، ودون سابق انذار، وعندما كانت تسأله عن سبب هذا التغير، كان يتهرب منها... حتى حضرت لزيارتها صديقة من أيام المدرسة، وأطلعتها على تسجيل بصوت (أحمد) مع (سميحة) التي كان يحبها في أيام المدرسة، وسمعت أنه يعترف لها بشعوره بالذنب نحو (أميرة) وأنه ما زال يشعر نحو (سميحة) بالحب ولا يستطيع نسيانها...

وكانت هي الفجيعة الكبرى التي عصفت بها أيامًا كثيرة في سرير المرض، الذي لم يكن له دواء، ومنعت نفسها من مقابلة جميع الناس، واستأذنت أبيها في الإقامة عند خالتها في بلد آخر... وبالفعل وافق أبيها حتى تشعر أميرة بالراحة بعد فترة المرض التي لحقت بها، وحاول (أحمد) تبرير فعلته لأهله أولاً، وحاول مع أخيها ثانيًا، لكن محاولاته كانت تبوء بالفشل... وافترقا فترة طويلة...

وفي هذه الأثناء عُينت (أميرة) في جمعية خيرية لمساعدة الفقراء والأيتام، واكتسبت مهارة فائقة في إدارة هذا العمل، الذي وسَّع دائرة المعارف لديها في المجتمع، وأكسبها هذا العمل خيرًا كثيرًا، واستعادت ثقتها بنفسها مرة أخرى، وتدرجت في المناصب حتى وصلت إلى منصب مرموق نظرًا لكفائتها... وتقدم لها العديد من العرسان، حتى شعرت بالحب مرة أخرى يشاغلها مع طبيب الجمعية، الذي توافق أسلوبهما في الحياة... وقصت عليه قصة (أحمد) الذي تركها ولا تعلم عنه شيئًا الآن، وتدارك بعقلانية الموقف، وقال لها إن (أحمد) خسر جوهرة كانت سوف تُضيء حياته، أما هو فيتمنى الآن الارتباط بها، وأنه يتعهد لها بالسعادة ما دام حيًّا.

• • •



لمَّا كنا صغارًا، سمعت قصة عن الظلم سأقصَّها عليكم...

كان هناك صياد فقير غلبان يقطن في قرية صغيرة، يحكمها ملك ظالم جبار، كل يوم يستولي على كل السمك الذي يظهر، ولا يترك للفقراء شيئًا... وكان الصياد يخرج كل يوم ويرمي الشبكة لكي يحصل على سمكة واحدة يُطعم بها أولاده، أو يبيعها، لكن كان يرجع بدون فائدة...

وفي يوم صلى كعادته الفجر ودعت له زوجته بالرزق الوفير، وذهب الصياد وتوكل على الخالق، ورمى الشبكة، ودعى الله بالرزق، وبالفعل اصطاد سمكة كبيرة جدًا، فرح وشكر ربه كثيرًا.. وفكَّر أن يقسِّمها على أولاده ويبيع الجزء الآخر... وفي هذه الأثناء مرَّ الملك بجانبه، ورأى السمكة، فأمر حراسه بأخذها، وترجاه الصياد أن يتركها له ولأولاده، ولكن الملك رفض بشدة وأصرَّ وأخذها ورحل، وذهب إلى القصر وأمر الطاهي بطهي السمكة، وأكلها ونام... وفي الصباح، شعر بألم شديد في إصبع رجله، فأرسل للأطباء فأشاروا عليه بقطع إصبع قدمه، فرفض بشدة

وطلب ايجاد حل آخر، ولم يمر وقت كثير حتى أرسل للأطباء مرة أخرى من شدة الألم، فقال الأطباء إن قطع القدم هو الحل لأن بها ورم، فرفض مرة أخرى، وطلب منهم ايجاد حل آخر... ولم يمضِ وقتٌ طويلٌ والألم يتزايد يومًا بعد يوم، وعندما حضر الأطباء مرة ثالثة أصروا على بتر الرجل حتى الركبة، واضطر للاستسلام وبُترت الرجل... وعندما أفاق من الألم أرسل وأحضر حكيم القرية وسأله تفسير ما حدث له، فأجابه حكيم القرية إن كان ظلم أحدًا، فأجاب أنه لا يتذكر أنه ظلم أحدًا، وبعد تفكير طويل تذَّكر الصياد الفقير، فأرسل وأحضره وسأله: بماذا دعوتَ عليَّ؟... فأجاب: إن ظلم الظالم ساعة واحدة في الدنيا، ولكن أمام الله ساعات.

- يا ليت الظالمين يستوعبون ظلمهم للآخرين قبل يوم الحساب العظيم، والذين يتاجرون باسم الدين ويكفِّرون غيرهم ويطلقون الأحكام بالسحل والقتل والضرب، كأنهم هم من بيدهم هذا الأمر لأنهم كما يزعمون بالباطل من نسب الخلفاء الراشدين... وهناك دعاء أردده الآن وهو: اللهم اضرب الظالمين بالظالمين وأخرجنا من بينهم سالمين... آمين.

• • •



هناك أمور كثيرة نواجهها في حياتنا العملية من مشاكل وأحداث وظلم ورفع الظلم، وعندما يصعب علينا رفع الظلم؛ نلجأ إلى الله وحده وهو القادر الوحيد الذي يعيننا وقت الشدة...

سأقص عليكم قصة... القصة كما قرأتها منذ زمن:

في فندق كبير في وسط البلد في الهول الملتحق ببهو الفندق، كان يجلس على الطاولة صحفي مشهور يلتقي بشخصية مرموقة، ويجري معه حوارًا صحفيًا خاصًا بالجريدة التي هو رئيس تحريرها، وأثناء اللقاء رأى رجلاً متقدمًا في السن يرتكز على عصا تعينه على المشي ويحاول أن يداري نفسه عن عيون الناس الموجودة بالبهو، وجلس على طاولة في ركن بعيد بالبهو، من كِثرة ما أمعن النظر لفت انتباه الجرسون، فتقدَّم من الجرسون، وسأله الصحفي عن هذا الرجل، فأجاب الجرسون على الفور وكأنه ينتظر السؤال: هذا فلان بيك الذي كان وزيرًا للداخلية وهذا الآن حاله... وانصرف الجرسون لعمله...

فأستأذن الصحفي الكبير من الضيف وذهب إلى الوزير السابق، وبخبرته الصحفية لم يعطه الفرصة للتهرب منه وعرَّفه الصحفي

بنفسه أيام ما كان وزيرًا، وكان هذا الصحفي ما زال مبتدئ، ولم يعطهِ الفرصة في إجراء حديث يرفع من قدره أمام مدير تحرير الجريدة التي هو الآن مالكها... فضحك الوزير السابق وأجابه أنه الآن هو الأقوى منه.

ولاحظ الصحفي حرقًا كبيرًا في يده، فشعر الوزير السابق بالحرج، وحاول الانصراف، لكن الصحفي لم يعطه الفرصة للهرب لأنه شعر بأنفه الصحفية أن الأمر فيه شيء، فأصرَّ عليه، فأمَّنه أنه سوف يقص عليه، على ألا ينشرها إلا بعد وفاته ولا يذكر اسمه، فعاهده الصحفي، فقال الوزير السابق : عندما كنتُ وزيرًا؛ كنتُ أمسك البلد بيدٍ من حديد، وكنتُ أعلم كيف الناس كانت ترتعد مني وتخافني... وفي يوم كنتُ عائدًا من عملي؛ ووجدت كشك حلويات لرجل فقير ويلمُّ فيه زوجته وأولاده بجانب بيتي، فأمرت أن يكسروا هذا الكشك على رأس الرجل في الحال، ولم تمضِ دقائق وبالفعل كان ذاك، فوقف الرجل وقال بأعلى صوته: (اتقِ الله وحسبي الله ونعم الوكيل)، فأمرتُ أن يقبضوا عليه، ويضعوه في المعتقل جزاء تطاوله على أسياده، وبالفعل حصل، وذهبتُ إلى بيتي، وفي اليوم التالي في عودتى وجدت زوجته في نفس مكان الكشك تجلس وبجانبها أولادها وقالت مثل ما قال زوجها : (اتقِ الله وحسبي الله ونعم الوكيل)، فعدتُ إلى بيتي وسألت زوجتى هل أنا ظالم أحد، أجابتـ أبدًا ده انت بتخاف على البلد، وبتعمل لحمايتها، فاطمئننت، ودخلت أنام شوية بعد الغداء كعادتي، فحلمت أني في

يوم القيامة وملائكة غلاظ شداد يسحبونني إلى النار، ووجدت الرجل الفقير يلبس أحسن الثياب ويقف حوله ملائكة شكلهم جميل، ويمسكونه ليدخلوه الجنة، وصحيتُ مفزوعًا، ووجدتُ هذا الحرق بيدي فهرولتُ مسرعًا على التليفون وطلبت منهم أن يوقفوا تعذيب الرجل الفقير، ولكنهم أجابوني أنه مات من التعذيب من ساعة واحدة... ومن وقتها وهذا الحرق يترك هذا الأثر في يدي.

- وهذه كانت حكاية ظالم...

يا ليت كل إنسان يكون على يقين أن الظلم ظلمات يوم القيامة... اللهم أعوذ بك أن أَظلم أو أُظلم.

• • •



الأصدقاء

في صالة البلياردو، يجتمع الأصدقاء الخمسة حول إحدى الطاولات ليتناوبوا اللعب في مرح وسعادة، وهم (ياسر) شاب أسمر اللون، طويل القامة، نحيف، في إحدى الكليات النظرية، ينتمي إلى عائلة محدودة الدخل، وهو الابن الأكبر على صبي وصبية في عمر الزهور، ومراحل التعليم المختلفة، ووالده يعمل في وظيفة حكومية بسيطة، ووالدته ربة منزل، على علاقة حب بفتاة تدعى (رشا) في المرحلة الثانوية، تقطن بجوار (أحمد) صديقه، وهي فتاة وحيدة، وتعيش مع أبيها بعد وفاة أمها، وهي خمرية، تتميز بشعرها الأسود الطويل، ولها عينان واسعتان، كل أهل الحي يعطفون عليها بعد وفاة أمها، وأم (أحمد) تعتبرها ابنتها وتراعيها...

والثاني (تامر) أبيض البشرة، متوسط الطول، بدين، الابن الوحيد لعائلة ثرية، توفِّر له الكماليات قبل الأولويات، ويدرس في نهائي كلية الهندسة... ويرتبط بعلاقة حب مع زميلته في نهائي هندسة، وتسمى (ريهام) خمرية، نحيفة، تتحدث عن أسرتها بأنها من الأثرياء، وتتباهى بملابسها الضيقة التي تُبرز معالم جسدها، وتمشي في الكلية في دلال، كأنها نجمة سينمائية، والكثير من الطلبة

يتجنبونها لتكلفها ومغالاتها في لبس الذهب والملابس الباهظة الثمن، وتحرص أن تتعامل مع (تامر) بذكاء ولا مبالاة حتى يتمسك بها أكثر...

والثالث (مصطفى) طويل القامة، أبيض البشرة، عينين عسليتين، وشعر بُني، وهو الآخر نهائي هندسة، من عائلة فوق المتوسط، وأخ لبنتين أصغر منه.. ويعتبر كل زميلاته أخوات له، ولم يصادف الحب بعد...

والرابع (أحمد) خمري البشرة، عريض المنكبين، ضخم الجثة، يُخيل من أول وهلة أنه مصارع، دائم الرسوب، وفُصل من الجامعة، والتحق بمعهد متوسط، ودائم البحث عن عمل يشغل به حياته، كم من محاولة يبدأ فيها ولكنها تنتهي بالفشل، وله أخ أصغر منه، في المرحلة الثانوية، يحاول أمامه أن يكون القدوة التي تساعده على معارك الحياة.. ورومانسى يتعلق بأى فتاة تتحدث معه بلباقة، ويتعلق بها فترة قصيرة، حتى يكتشف أنها متعلقة بغيره... فهو شخص خيالي يعيش في انتظار فتاة أحلامه، التي ترتدي الفستان الأبيض، وتعامله برفق وحنان...

والخامس (شريف) قصير القامة، خمري البشرة، معتدل الحجم، حاصل على مؤهل كلية نظرية، تجمعه مع صديقه (أحمد) نفس الظروف في البحث عن عمل، لأنه أيضًا من عائلة محدودة الدخل.. يعمل والده فراش في مكتب محامي (غير مشهور)...

جمعت الأصدقاء الخمسة هواية واحدة، يفرِّغون فيها طاقاتهم، وهي لِعب البلياردو، وبعد الانتهاء من اللعب، يمرحون هنا وهناك لقتل الوقت...

بدأ الملل يتسرب إلى نفوس الشباب الخمسة، فقال (شريف) وهو يزفر تنهيده حارقة: مش قادر أتحمل الملل ده... حياتنا بقت تافهة، نلعب ونسرح في الشوارع ونرجع ننام... لازم نعمل حاجة، أهلنا عملوا اللي عليهم، وصرفوا علينا لغاية لما اتعلمنا...

يرد (أحمد): أنا مكسوف من نفسي وأنا بمد إيدى آخد مصروف زي أخويا الصغير...

(ياسر): إحنا بندور على شغل كل يوم وفي كل التخصصات، لكن مفيش فايدة... إيه رأيكم نعمل مشروع صغير مع بعض؟!!!

(تامر):عندك حق يا (ياسر) نعمل مشروع صغير مع بعض... بس أهم حاجة نخطط له صح.

يرد (مصطفى): تفتكروا إيه المشروع اللي نقدر نعمله، ويعود علينا كلنا بالربح الكتير؟

يرد (تامر): صالة بلياردو، وملحق بها كافيتريا، ونقسِّم الشغل فيها في أوقات فراغنا...

يرد (مصطفى): فكرة رائعة... ندور على مكان، ونحسب المصروفات والتكاليف...

بعد تفكير يقذف (ياسر) : لازم يكون في مكان وسط بين طبقة الأغنياء ومتوسطي الدخل. اوعوا تفكروا تعملوا الصالة في (السيدة عائشة) مثلاً، وإلا هيضربوكوا بالطماطم البايظة... هههههههه.

بدأ الأصدقاء الخمسة في البحث في الأماكن الراقية، وتفاجأوا بالأسعار الباهظة، حتى توصلوا لأقل الأسعار، وبعد أن حددوا جميع المصروفات، وجدوا أن المبلغ أكبر من امكانياتهم، خاصة أن اثنين منهم من محدودي الدخل، وليس لديهما أي دخل ممكن يساعدا به في المشروع...

فذهبوا جميعًا إلى والد (تامر) (أدهم أبو العز) في الفيلا، وعرضوا عليه الأمر، فرحب بهم، وبدأ (مصطفى) الحديث : إحنا يا عمي درسنا مشروع صالة بلياردو وملحق بها كافيتريا، وحسبنا التكاليف لقيناها فوق طاقتنا، فممكن حضرتك تساعدنا إننا ناخد قرض من البنك، نسدد منه لما المشروع يشتغل.. لأن زي ما حضرتك عارف إحنا لسه مشتغلناش، والبنك محتاج ضمان؟

يتفحص الأستاذ (أدهم) أوراق الدراسة التمهيدية للمشروع، ويفكِّر قليلاً، ويرد : أنا هاقرضكم المبلغ المطلوب من البنك وتردوه ليا بنفس الأسلوب اللي بيتبعه البنك في الأحوال دي...

نظر الشباب لبعضهم البعض من هول المفاجأة، وهللوا من فرحتهم بـ(الله اكبر).

فردَّ (أدهم أبو العز) : بس بشرط... متشغلش (تامر) و(مصطفى) عن الامتحانات!!

ردَّ (تامر) و(مصطفى) في نفس واحد : أبدًا... وقت الامتحانات، (ياسر) و(أحمد) و(شريف) هيزودوا الوقت بينهم إن شاء الله...

وبدأ الشباب في تجهيز الصالة مع عمال الدهانات والتوصيلات... وفي خلال شهر افتتحوا صالة البلياردو، مع تقسيم العمل بينهم، من نظافة وتجهيز الطلبات، وكاشير ومراقبة كاميرات الصالة، وغيره من الأعمال...

نجح الأصدقاء الخمسة في تشغيل المشروع، بحبهم لبعضهم البعض، وإصرارهم على أن يعتمدوا على انفسهم...

استمر النجاح على هذا النحو، حتى جاء يوم حضرت (ريهام) ومعها اثنان على نفس شاكلتها، الملابس الضيقة باهظة الثمن، ويرتدين من الحُلي الكثير بدون داعي، وطلبنَّ أن يلعبنَّ بلياردو، وبالفعل وفَّر لهن (تامر) الطاولة، وطلب من أصدقائه أن يرافقهن في اللعب حتى يكتمل العدد...

وعلت ضحكاتهمن بطريقة استفزازية !!!، فاقترب (مصطفى) من (تامر)، وطلب منه أن يطلب من البنات خفض الصوت لأن جميع من في الصالة ينظر لهن، وبمجرد أن لمحت (ريهام) ذلك، قالت : هو إحنا مش بنلعب، لازم نكون على راحتنا... بنات خالتي هيزعلوا مني كده...

ردَّ (تامر) مسرعًا : لا... لا خلاص خليكو براحتكو، هأجيب لكم عصير فريش...

وعندما ذهب (تامر) لإحضار العصير... لاحظ (مصطفى) أن شابًا اقترب من الفتيات، وتحدث معهن، وكل منهم كان يدون شيئًا ما في الموبايل، وما أن اقترب (تامر) من الفتيات حتى انصرف الشاب مُسرعًا!!!

وشربت الفتيات العصير، وأستأذن في الانصراف، حاول (تامر) ان يوصِّلهن، لكنهن اعتذرن له، وانصرفن مُسرعات...

شعر (مصطفى) أن وراء هؤلاء الفتيات شيئًا غامضًا، وغير مريح، فسأل (تامر): هو والد (ريهام) بيشتغل ايه... وساكنين فين؟
ردَّ (تامر): معرفش، بس واضح إنهم من عيلة غنية... يلا نخلَص شغلنا ونروّح لإني تعبان ومرهق...

بدأ الشباب في إنهاء عملهم، وكلٌّ انصرف إلى بيته، إلا (أحمد) طلب من (مصطفى) أن يتجولا بالسيارة، ويذهبا إلى مكان ينفسِّان فيه عن أنفسهما من تعب العمل...

فى أثناء السير بالسيارة، مرَّ بجانبهما سيارتان لشباب وبجانبهم فتيات؛ تسيران في تسابق مع بعضهما البعض، وتصدر منهم ضحكات عالية دون إحساس بمن يسير بجانبهم... فقرَّر (مصطفى) أن يتبعهم لشكه في أمرٍ ما!!!

وأخذ (أحمد) ينهره للسرعة التي يسير بها قائلاً: ليه السرعة دي يا (مصطفى)؟ إحنا ملنا ومالهم.. دول شوية عيال معندهمش إحساس، ملناش دعوة بيهم... امشي على مهلك وبلاش تهور...

(مصطفى) : متخافش أصل فيه حاجة شاكك فيها وعاوز أتأكد منها!!!

وسار وراءهم من شارع إلى شارع، ومن منطقة إلى غيرها، حتى استقرت السيارتان أمام إحدى محلات الملاهي الليلية...

طلب (مصطفى) من (أحمد) أن ينتظره بعض الوقت، وألا يتبعه... ودخل (مصطفى) بعد الحديث مع الحارس...وكانت المفاجأة عندما رأى.........

وخرج (مصطفى) من الملهى الليلي، وهو في حالة غضب شديدة ويستنكر ما رآه، وتعجب (أحمد) من الحالة التي كان عليها صديقه وسأله : حصل إيه شفت ايه؟... ومين الشباب دول اللي دخلت وراهم... وتعرفهم منين؟

أجاب (مصطفى) : هاقولك بعدين، المهم دلوقتي أوصلك، وبكرة فيها حل إن شاء الله...

رد (أحمد) : استنى متتحركش إلا لمَّا أعرف كل حاجة دلوقتي... إيه اللي شفته في المكان ده؟

ردَّ (مصطفى) : شفت (ريهام) مع البنات اللي كانوا معاها في الصالة عندنا، بيرقصوا رقص خليع مع شباب... وأول ما شافتني، جت وهددتني لو قلت لـ(تامر)، هتخليني أندم على اليوم اللي اتولدت فيه... وإذا سمعت كلامها ها أكسبها...

فزع (أحمد) : يا نهار اسود، دا هي و(تامر) متجوزين عرفي... ومشتري لها شقة في جاردن سيتي يتقابلوا فيها!!!...

ردَّ (مصطفى) : إزاي... وامتى... دي عرضت عليا... هي أو أي واحدة من أصحابها... إزاي تامر يعمل حاجة زي دي؟!!!

يرد (أحمد) : تعالى نروح نجيب (تامر) يشوف بعينه...

وقبل أن ينتهي (أحمد) من كلامه، فوجئا بأربعة من البودي جارد يفتعلون مشكلة، ويشتبكون معهما، وحاولا الهرب منهم لكن دون فائدة، وتركوهما ينزفان دمًّا، وقبل أن يفقدا الوعي، رأى (ريهام) تقف مع البودي جارد، وتعطيهم نقودًا !!!

وعندما أفاقا، وجدا أنفسهما ممددين على سريرين في مستشفى، ومجبسين جسميهما، وجهاز التنفس معلق يغطي منطقة الفم والأنف وخُيل لهما أنهما يريان أهاليهما من وراء زجاج الغرفة، ومعهم أصدقائهم (تامر) و(شريف) و(ياسر)، والمفاجأة ان (ريهام) تقف معهم، وتنظر لهما بتشفي، وتلوح لهما بيدها من وراء زجاج الغرفة!!!...

وسأل (تامر) (ريهام) : فين والدك وبيشتغل إيه؟ وساكنين فين؟ ردَّت في برود : بتسألني بعد ما اتجوزتني؟... سبق وقلت لك أول ما اتعرفت عليك، إن "بابي" بيشتغل رجل أعمال في دبي و"مامي" معاه... عاوز تعرف إيه تاني؟

ردَّ (تامر) : عندك إخوات؟ وساكنين فين؟

ردَّت عليه بشكل أكثر برودةً : أيوه عندي أخ أكبر مني دكتور وبيشتغل مع بابي في دبي، وأخت أصغر مني في إعدادي...

وساكنة مع خالتي في الزمالك... فيه حاجة تاني... أُف... إيه الأسئلة دي كلها ؟ أول مرة تحقق معايا كده؟

يرد في لهفة: أبدًا يا حبيبتي... أنا آسف إني ضايقتك، مش قصدي، أصلك كل ما أطلب منك أوصَّلك تمنعيني، وتصممي تروَّحي لوحدك، وأنا بخاف عليكِ...

أجابت (ريهام) بكبرياء: إحنا من عيلة محافظة، وبابي بيرفض جدًا حكاية التوصيل دي، من فضلك متخلنيش أندم إني ضعفت واتجوزتك عُرفي... لو بابي عرف هتبقى مصيبة... أرجوك خلي علاقتنا كده في السر، لغاية ما تيجي تطلبني من بابي لما يرجع من دبي... إنت عارف أحيانًا باتضايق من بيت خالتى وتحكماتها فيا، متكلميش حد، متخرجيش مع حد.. لكن بستحمل علشان خاطرك...

واستمرت (ريهام) في خداعها لـ(تامر) طويلاً، ودفعها تأثيرها عليه إلى منحها شقة جاردن سيتي والعربية كهدية لها... لأنها أوهمته أنها بذلك ستكون في أمان ولن يكون قلقًا عليها...

أما عن حالة (أحمد) و(مصطفى)، فكانت الزيارة ممنوعة لسوء حالتهما الصحية، ولم يتوصل أصدقاؤهما أو الشرطة إلى معرفة من وراء ما حدث لهما...

لكن دافع الصداقة كان أقوى لديهم لمعرفة حقيقة ما حدث لهما فاجتمعوا...

(ياسر): يوم الحادثة (أحمد) و(مصطفى) خرجوا مع بعض يتمشوا بالعربية، إيه اللي خلاهم يروحوا الملهى الليلي ده؟

يجيب (شريف) : أخلاقهم إحنا عارفينها كويس، هما مش من النوع ده... أكيد فيه سر ولازم نعرفه؟

(تامر) : ومين اللي ضربهم الضرب ده كله؟ وعلشان إيه؟

يرد (ياسر) : يلا نروح مع بعض كلنا، يمكن نوصل لحاجة مقدرش البوليس يوصل لها... لأن فيه ناس بتخاف تجاوب على أسئلة البوليس، علشان متدخلش نفسها في مشاكل...

وعزم الأصدقاء الثلاثة على كشف الأمر، وذهبوا إلى الملهى الليلي في سيارة (تامر)، وما أن وصلوا إلى الملهى، وجدوا "سايس" رجلاً كبيرًا في العقد الخامس من العمر، ويساعده شاب في العشرينات مثلهم، فتظاهر (تامر) بأنه يبحث عن مكان يركن فيه سيارته، فحضر الشاب يجري : أيوه اتفضل هنا يا بيه... ارجع خطوه ورا شوية... عجلة قدام... أيوه تمام هنا...

فسأله (ياسر) : إنت موجود هنا على طول ولا بتروح؟

أجابه الشاب على الفور : لا يا بيه، مبروحش إلا الصبح، بعد الناس كلها ما تاخذ عربياتها...

فسأله (شريف) : اسمك إيه بقى؟

الشاب : اسمي (كيمو)...

سمعوا الرجل العجوز ينادي عليه... فوضع (تامر) يده على كتف الشاب (كيمو) وسأله : هو ده أبوك... ولا كل واحد فيكو له مكان لوحده؟

أجاب (كيمو) : أيوه جاي يا عم (متولي) ثواني... لا يا بيه، ده زي أبويا، واحنا بنشتغل مع بعض... عم (متولي) بيحبنى زي ابنه... لكن ليه الأسئلة دي يا بيه هو إنتو بوليس ولا إيه؟...

وابتعد (كيمو) خطوتين إلى الوراء خائفًا...

فأسرع (ياسر) يطمأنه : لا يا عم... بوليس ايه؟... دا إحنا طلبة جامعة لسه... مالنا إحنا بالبوليس، هو البوليس بيجي هنا ولا إيه ؟.. هو فيه حاجة حصلت في المحل ده ولا إيه؟... قول لحسن إحنا أول مرة نيجي، فيه مشكلة حصلت هنا ولا إيه؟

فرد (كيمو) : لا لا... مفيش حاجة.

فحضر الرجل المسن وسأل : فيه إيه يا(كيمو)؟ فيه حاجة يا بهوات؟

فأخرج (تامر) بعض الجنيهات وأعطاها إلى الرجل المسن قائلاً : لا أبدًا إحنا بنوصيه على العربية علشان ياخذ باله منها... خلي بالك يا كيمو.

رد (كيمو) والرجل المسن : متخافش يا بيه على العربية، دي في عهدتنا لغاية ما تخرجوا من المحل...

سار الأصدقاء الثلاثة ودخلوا الملهى، وهم ينظرون في كل مكان لعلهم يصلوا إلى شيء ما... وبدأت الفقرات تتلو بعضها البعض، ولم يحدث شيء غير عادي في هذا المكان... فخطرت فكرة لـ(ياسر) وقال : على فكرة (أحمد) و(مصطفى) مدخلوش المحل ده، لأنهم لو دخلوا كانوا دفعوا تذاكر، ويكون معاهم على كل تذكرة بيان مرفق بيه أسماء الفقرات مع هدية المشروب الكحولي...

يرد (شريف) : عرفت منين يا فالح؟

يرد (ياسر) : كان التحاليل اللي عملوها في المستشفى بيّنت كده... والبوليس فتّش عربية (مصطفى) وملقوش فيها تذاكر ولا حاجة... السر كله هنلاقيه عند (كيمو) وعم (متولي)... يلا بينا...

)شريف) : استنوا... حاولوا تسألوا (كيمو) لوحده بعيد عن عم (متولي) لأنه واضح انه راجل حذر...

خرج الأصدقاء الثلاثة وبمجرد أن رآهم (كيمو) أسرع إليهم :

ليه كده يا بهوات مروحين بدرى؟ دا لسه فيه حاجات حلوة أوي...

رد (ياسر) : لا... دا كل الفقرات أي كلام، حتى البنات... مش تقول إن المكان مقلب، دا إحنا شباب زي بعض؟...

يرد (كيمو) : أبدًا... طيب دا فيه واحدة زمانها جاية اسمها الست (ريري) هي وشلتها آخر حلاوة...

يرد (شريف) : دي بقى حلوة ولا أي كلام... ويمكن محدش يعرف يقرب لها.

يرد (كيمو) : أهم حاجة محدش يضايقها... أصل من كام يوم واحد دخل ضربها بالقلم، قبل ما يمشي هو وصاحبه من قدام المحل.

وهنا ظهر عم (متولي) وسأل : البهوات ماشين ولا إيه يا(كيمو)... معجبكوش المحل ولا إيه؟

يرد (كيمو) : أيوه معجبهمش ياعم (متولي)...

يرد (تامر) : هنروح محل تاني... تعرف مكان حلو يا(كيمو)؟... يلا خرجني.

يسأله (شريف) : حصل إيه للولدين يا(كيمو)... هه كمل...
يرد (كيمو) وهو منهمك في خروج السيارة : جابتلهم اللي طحنوهم طبعًا... يلا يا بيه مع السلامة.

نظر ثلاثتهم إلى بعض وقال (تامر) : نتصل بالبوليس ونبلغهم باللي وصلنا ليه، وهو يقبض على الست (ريري) والبلطجية بتوعها وخصوصًا إنها على وصول...

يرد (شريف) : تفتكروا ليه؟... ومين اللي ضربها؛ (مصطفى) ولا (أحمد)؟ وضربها ليه؟ يعرفها منين؟ تفتكروا (كيمو) بيتكلم عن (أحمد) و(مصطفى) ولا يقصد حد تاني؟...
يرد (ياسر) : هيبان دلوقتي... يلا يا (تامر) اتصل...
واتصل (تامر) وتقدم ببلاغ ضد (ريري) والبلطجية، وأدلى أنهم حصلوا على هذه المعلومات من (كيمو) السايس...

وانتظر الأصدقاء الثلاثة في قسم الشرطة، حتى تمَّ القبض على (ريري) وشلتها والبودي جارد و(كيمو)، ونادى الشاويش على الأصدقاء الثلاثة ليتواجهوا جميعًا...

وما أن رأى (تامر) زوجته (ريهام) وهي ترتدي الملابس الخليعة أمامه حتى انفجر فيها قائلاً : أنتِ (ريري) مش ممكن؟ إزاي... إزاي؟
أجابه الضابط : دي (ريري) مسجله في أكتر من قضية آداب هي وشلتها... هربت من أبوها وأمها لانهم بيسرحوا بعربية كشري في

العتبة... وأخوها مسجل نشل في الأتوبيسات (ريشا) الخفيف... وأختها بتسرح بمناديل في الإشارات !!!

رد (تامر) : خدعتني وفهمتني إن أبوها بيشتغل في دبي... خلتني أتجوزها عرفي، وأهديتها شقة في جاردن سيتي وعربية... وكانت هتتسبب في موت أصحابي...

الضابط : تاني يا بت، دا أنتِ هتروحي في داهية المرة دي... رجعي للراجل شقته وعربيته... شكلك مش طالعة من السجن المرة دي يا بت...

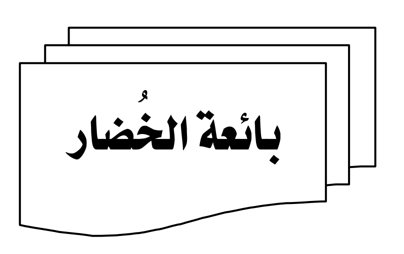
ترد (ريري) لأول مرة : إنت هتعيط يا (تمور)، حاجتي ما أفرطش فيها أبدًا، بيني وبينك المحاكم... وعلى فكرة السجن مش مشكلة ورايا ناس جدعان هيطلعوني منها...

رد الضابط : خدها يا عسكري ارميها في الحبس لما نشوف الجدعان اللي هيطلعوها...

يكمل الضابط وهو ينظر لـ(تامر) : شوف لك محامي شاطر يرجعلك الشقة والعربية... يلا مع السلامة.

يذهب الأصدقاء الثلاثة إلى (أحمد) و(مصطفى) في المستشفى، ويجدوا أنهم قد سمحوا لهما بالزيارة، ويقصوا عليهما ما حدث... ويعود لهم تجمعهم من جديد.

• • •



بجوار مكتب البريد وشركة الاتصالات، تجلس سيدة عجوز تجاوزت الستين بقليل، ذات وجهٍ مستدير، به تجاعيد قليلة حول الفم وأسفل العينين الخضراوين، بيضاء البشرة، ترتدي جلبابًا فلاحيًّا واسعًا، وتغطي رأسها بشالٍ أسود طويل يخفي معظم وجهها، تُسمى (أم إبراهيم) تبيع الخضار، وترصُّ بضاعتها على ظهر أقفاص في نظام، الخضار المجهز للتنظيف في جانب، وباقي الخضار في الجانب الآخر، وأنواع من الفاكهة... ورغم وجودها على الرصيف في الشارع، لكنها تحافظ على نظافة الخضار والمكان، وتلبي كل طلبات زبائنها، مهما كلفها ذلك من مشقة وتعب، وتتعامل بحب واهتمام مع الجميع...

تخرج في الصباح الباكر، تنظِّف المكان وترصُّ بضاعتها، وتنتظر زبائنها؛ وأغلبهم من شركة الاتصالات، وزوار البريد، والعمارات المجاورة، وعند خروج الموظفين يتوجهون إليها...

(مدام سعاد) : حضَّرتي لي البتنجان والفلفل يا (أم إبراهيم) أوعي تكوني نسيتي تأوري الكوسة، لحسن (محمد) ابني بيحبهاأوي؟

تجيب (أم إبراهيم) : أيوه يا حبيبتي كل حاجة جاهزة حتى الخضرة... ألف هنا.

وبعدها (الأستاذة زينب) شؤون قانونية : وأنا فين شوربة الخضار والكرفس؟

تجيبها : كل حاجة جاهزة وكتَّرت ليكي الكرفس زي ما قلتي.

ويحضر (الأستاذ مايكل) صرَّاف البريد : كيس ملوخية، وكيس توم مفصص، لو سمحتي يا (أم إبراهيم)؟

وكلٌّ يأخذ طلبه بعد أن يشكرها، ويوصيها بأن تحضِّر له غدًا شيئًا آخر...

وبجانب (أم إبراهيم)، (عم عبده) الأرزقي رجل في الستين من عمره، يقف على الرصيف لعمل الشاي، يداري الوابور بصفيحة قديمة وعدة الشاي بجانبه، وأول كوب شاي لـ(أم إبراهيم) التي هي بدورها تتقاسم معه قطعة الخبز المغمس بالجبن البيضاء...

وأيضًا (الأستاذ خليل) في الأربعين من عمره، ورث المحل الصغير عن أبيه، بها ماكينة تصوير مستندات، وثلاجة مشروبات ساقعة، وبقالة بسكويت وشبيسي...

وبجوارهم مكوجي في مدخل عمارة، يفرش طاولة يكوي عليها للزبائن...

وكذلك فترينة سندوتشات كبده ومخ، يعمل عليها شاب صغير، اسمه (ياسر) أسمر كثيف الشعر، يرتدي قميصًا وبنطالاً، ويستعير

من (أم إبراهيم) بصلتين على قرنين فلفل حامي، ويردهم لها في سندويتش معمر كبدة، وتعطيه المشورة في طعمها...

وكلٌّ منهم ينتظر رزقه من الرزاق في شوق...

وبعد أن ينتهي اليوم، ويحلُّ الظلام، يلملم كلٌّ منهم بضاعته، ليخبئها في الفيلا المهجورة، التي تقع خلف مجلس (أم إبراهيم)، ويداريها بالأشجار، أما (أم إبراهيم) فتقطن في الكوخ الخشبي الموجود بحديقة الفيلا المهجورة، بعد أن تغلق الباب الحديدي بالسلاسل والقفل الكبير، وتنام على صندوق خشبي بداخل الكوخ، ومعها بعض الأغراض البسيطة، التي تحتاج إليها من طاولة صغيرة تأكل عليها، وبه حمام ضيق تقضي فيه حاجتها، وبه نافذة تطل على الفيلا، لا تغلقها إلا عند نومها، ولا تغلق عينيها كل يوم، إلا بعد أن تتذكر ابنها (إبراهيم) وهو صغير، وكانت تصطحبه معها وهي تحضر الخضار، ويساعدها في رص الخضار، وكان كل من يراه يعتقد أنه ابن أصحاب الفيلا من شدة جماله، فكانت تتباهى به وبذكائه، وأصرت أن تُعلِّمه حتى لا ينقصه شيء... تبعد بالذاكرة لتسمع ضحكاته وشقاوته، حتى انه ابنة صاحب الفيلا (سوزي) كانت تنادي عليه : (إبراهيم) تعالى إلعب معايا... وتضحك وترن ضحكاتهما في أرجاء الفيلا، وكأنهما ملاكان من السماء. تتذكر هذه الضحكات، وتبكي وتستغفر، وتدعو ربها، وتغمض عينيها وتستسلم للنوم...

(أم إبراهيم) تقطن بهذا الكوخ الخشبي من سنين، وكل من حولها لم يعرف عنها إلا أنها السيدة الطيبة التي تبيع الخضار لروَّاد المنطقة، ولم يروها تخرج خارج هذه المنطقة يومًا ما...

وفى يومٍ، استيقظت فيه كعادتها مبكرًا مع أذان الفجر، وتسجد إلى ربها، وتدعو دعاءً متكررًا أن يقدِّرها على الوفاء بالعهد...
وتبدأ في تحضير الخضار وتنتظر حضور السيارة التي توزِّع الخضار على البائعين وتأخذ طلبها... وعندما خرجت من الكوخ وهي محملة ببضاعتها المبيتة من الأمس، سمعت صوتًا يبكي داخل الفيلا المهجورة... فتوجهت حذرة، وعلى أطراف قدميها، وجدت سيدة عجوزًا في السبعين من عمرها، محنيٌّ ظهرها وترتدي ملابس سوداء، وترتكز على عُكَّاز، وبجانبها شابٌ يرتدي بدلة السائق يمسك بيدها من الجانب الآخر...
فتوجهت لها (أم إبراهيم) بالسؤال: أقدر أساعدك بحاجة يا هانم؟
تدير الهانم برأسها وتجيبها: آه... مش معقول (أم إبراهيم)... إنتي تاني؟
تجيبها: أيوه يا(ثريا هانم)... (أم إبراهيم)...
ترد: أنتي طلعتيلي من فين؟ دورت عليكي في كل مكان، حتى بيتك بعتيه، وهربتي بالعيال... هأمرهم يقبضوا عليكي... ويحطوكي في السجن !!!

تجيبها (أم إبراهيم) : الزمن غيَّر كل الناس... واللى حصل يهد جبال، وإنتي لسه متغيرتيش... اؤمريهم يحطوني في السجن... بس بتهمة إيه المرة دي؟!!

وتدير وجهها (أم إبراهيم) وتنوي الانصراف، فتثور في وجهها (ثريا هانم) : استني، خلاص مش بتخافي... قلت لكِ استني، مش مصدقة إني هأذيكي !!!

تجيبها (أم إبراهيم) وهي تدير لها ظهرها : اعملي كل اللي عوزاه، فعلاً دلوقتي مش بخاف زي الأول، الله يكون في عونك...

وبعد أن تطلق تنهيده تنظر لها وتقول : بعد ما راح الغاليين، مش بخاف إلا من اللي خلقني...

وذهبت (أم إبراهيم) من أمامها وهي تردد : الله يكفي العيال شرَّكم.

وأخذت (ثريا هانم) تتوعد بأذيتها وتحلف بأنها لن تترك (أم إبراهيم) تعيش على وجه الأرض.

وتجلس (أم إبراهيم) في مكانها المعتاد، وتنظر إلى (ثريا هانم) وهي تسير على العكاز، إلى أن تركب سيارتها وتنصرف...

ويبدأ الأرزقية يحضرون ويجهزون هم الآخرون بضاعتهم، وكل شيء يسير كالمعتاد، إلا (أم إبراهيم) التي تذكرت الماضي، ودموعها تسيل على خديها...

تذكرت ابنها الوحيد الذي أصبح شابًا طويل القامة، قوي البنيان، أبيض البشرة، عيناه خضراوان مثل أمه، كانت تقرأ المعوذتين كلما نظرت إليه...

وكانت فرحتها تكتمل كلما وجدته ينظر إلى حبه الكبير (سوزي) ابنة الأكابر، وهي الأخرى تبادله هذا الحب، ولم يخطر ببالها أن هذا الحب سيكون سببًا في نهايته !!!

عندما علمت عائلة (سوزي) بهذا الحب الذي نما بين الشاب وابنتهم، اللذين كانا يشبهان بعضهما كأنهما خُلقا من أجل بعضهما، بدأوا في إرسال بلطجية لـ(إبراهيم) يضربونه ويهددونه بالقتل، وكان صيتهم عاليًا في منعه من التعيين معيدًا؛ رغم حصوله على أعلى تقدير بين أقرانه؛ بدون أسباب، بعد أن حاول معرفة السبب قال له أحد المعيدين: لما تحب حب على قدك، ومتبصش لأسيادك!

وتذكرت كيف آذوها، وكلما فرشت بضاعتها من الخضار يحضر لها بلطجي من أتباعهم ويلقي بها إلى الشارع... وكلما تحدثت معهم (سوزي) يبعدونها عن (إبراهيم) بفرض حُرَّاس ليل نهار، حتى وصل بهم الأمر إلى تقييدها، وغلق باب حجرتها عليها !!!
حتى تمكنت من الهرب وذهبت إلى بيت (إبراهيم):
- لازم نتجوز يا (إبراهيم)، وبأسرع ما يمكن !!!
حاول (إبراهيم) أن يثنيها عن فكرة الزواج السرِّي... ولكن دون فائدة...

وتزوجا وهربا من بلدٍ إلى بلد، كلما عرفت العائلة مكانهما يسرعان بتغيره، حتى فكرَّت عائلة (سوزي) في فكرة شيطانية، بأن يوصى بالقبض على (أم إبراهيم) وتلفيق تهمة لها، ويعلنونها في أجهزة الاعلام، حتى يعلم (إبراهيم) ويظهر...

ونجحت الفكرة.. وظهر (إبراهيم) واتجه مباشرةً إلى قسم الشرطة، ففوجئ ببلاغ من عائلة (سوزي) يتهمونه بخطفها وإرغامها على الزواج منه، وتقدم والد (سوزي) من (إبراهيم) وهمس في أذنيه وقال له: طلّقها وقولي عنوانها، وأنا أخلي سبيلك، وأديك مبلغ إنت وأمك تروحوا في أي مكان غير هنا... صدقني لو ركبت دماغك هاخليك تندم عمرك كله!!!

ردَّ (إبراهيم) بنفس الهمس: أطلقها إزاي؟ وهي مراتي وكل حياتي، وكمان حامل في توأم بنت وولد، وبعد شهر هاتولد... لو يرضيك إنك تحرمني من عمري؛ أنا مايرضنيش أحرمك من ولاد بنتك!!!

ردَّ والد (سوزي) في عصبية : يا خسيس، يا ندل... لازم أموتك وأخلص من نسبك الزفت ده...

فالتف الضباط حول والد (سوزي) وهم يقولون: متعصبش نفسك يا باشا وسيب الأمر علينا!!!

وهمس والد (سوزي) في أذن الضابط : بس قبل ما تعملوا فيه حاجة، خليه يعترف بمكان بنتي الأول!!!

يرد الضابط: اطمن يا باشا... أقل من أربعة وعشرين ساعة وتكون بنتك عندك...

وانصرف والد (سوزي) وهو يتوعد (إبراهيم) وأمه بالتنكيل بهم !!

ونادى الضابط على (أم إبراهيم) وهو يقول لها : هاسيبك مع ابنك شوية، تعرفي عنوان بنت الباشا وتقولي لنا وإلا... إنتم عارفين.

جلست (أم إبراهيم) بجانب ابنها وأخذته في حضنها، وعرفت مكان (سوزي) ولكن وعدت ابنها : اوعدينى يا أمي متعرفهمش عنوانها مهما حصل... احلفي برحمة ابويا... ولو حصل لي حاجة، تربي أولادى لغاية ما يوصلوا لبر الأمان...

ردَّت أمه : اوعدك يا ابني... وربنا ما يوريني فيك مكروه أبدًا...

وحضر الضابط: ها يا (أم إبراهيم) ابنك حط عقله في رأسه، وقالك على مكان بنت الباشا؟

(أم إبراهيم) : أبدًا يا باشا ماقالش حاجة... وبعدين يا ابني لو حد عمل كده معاك، كنت هتعمل زي ابني وتداري على مراتك... يا ابني وحياة ولادك تسيبوه يروح لمراته، لحسن على وش ولادة وحرام تقعد لوحدها.

ردَّ الضابط: روَّحى يا(أم إبراهيم) دلوقتي.. واحنا هنحاول نصالحه على الباشا ويحصلك.

انصرفت (أم إبراهيم) إلى بيتها، وما أن فتحت باب بيتها، حتى وجدت اثنين من الرجال الأقوياء، غليظي الوجه والبنيان، أمسكا بها من الجانبين وأصبحت وجهًا لوجه أمام (ثريا هانم) والدة (سوزي) وهي في عنفوانها وجبروتها، وكانت تعرف (أم إبراهيم) أن هذه السيدة لا تنظر لهم على أنهم بشر مثلها، ولكن هم أقل منها بكثير، ففزعت من رؤيتهم وقالت لها : ليه كده يا(ثريا هانم)؟... الأولاد بيحبوا بعض وعايشين مع بعض في سعادة وهنا... وكلها أيام هتكوني جدي يتنططوا حواليكم... أرجوكي دي بنتك الوحيدة متحرمهاش من حنانك؟

ترد في كبرياء : اخرسى... مش ناقصنا إلا أولاد جرابيع، تخلفهم بنتي أنا؛ بنت الحسب والنسب، من ابنك إنتي يا بتاعة الخضار... انطقي فين بنتي اللي خطفها ابنك، وإلا هأموتهولك واخليكي تندمي العمر كله عليه؟

ترد (أم إبراهيم) في فزع وهي تخبط على صدرها : يا ساتر يا رب ليه كده دا إحنا كلنا من أب واحد وأم واحدة وهنقابل كلنا رب واحد؟!!

ترد (ثريا هانم) على كلام (أم إبراهيم) بإشارة للرجلين الغليظين بضربها، وبالفعل بدأوا ضربها، حتى تجمع الجيران وحاولوا أن يخلصوا (أم إبراهيم) من أيديهما، فتركاها وأمرتهما (ثريا هانم) أن يسبقاها إلى السيارة، وهي تتوعد (أم إبراهيم) بأنها لن تتركها هي وابنها، إلا بعدما يعيدوا لها ابنتها (سوزي)!!!

...

وحاول الجيران أن يخفِّفوا عن (أم إبراهيم) ما لقيته على يد هؤلاء الغلاظ : الناس دول صيتهم واصل يا (أم إبراهيم)، خدي ابنك وسيبي الإسكندرية، وروحي أي مكان بعيد، ميعرفوش يوصلولكم، لأنهم مش هيسبوكي لا إنتي ولا ابنك في حالكو !!!

ترد (أم إبراهيم) وهي تتألم من الضرب : بكرة أروح لابني في القسم، وأحاول معه... يمكن يوافق.

وفى الصباح، ذهبت (أم إبراهيم) إلى قسم الشرطة، وحاولت أن تستعطف الضابط ليترك ابنها... وبعد محاولات كثيرة مع هذا

وذاك، سمحوا لها أن تراه وهو محبوس في غرفة، ومن بعيد، فنادت عليه بأعلى صوت: يا ابني حلني من الوعد أرجوك... مش مستحملة أشوفك محبوس كده؟
يرد (إبراهيم) في لهفة: لا يا أمي استحملي علشان خاطري.. طول ما إحنا ساكتين محدش هيعمل معانا حاجة... مشححلك من الوعد حتى لو مت!!!

وفى هذه الأثناء، يحضر الضابط، ويأمر الحُرَّاس أن يفرجوا عن (إبراهيم) ويقول: اخرج يلا، روَّح يا (إبراهيم) مع أمك، بس فيه حاجة بسيطة حتعملها قبل ما تخرج، تعالى معايا.
ترد (أم إبراهيم) في فرح: الحمد لله... ربنا يخليك يا بيه.

ساروا ثلاثتهم والحارث إلى مكتب سيادة اللواء مأمور القسم، وجدوا أمامهم بعد فتح الباب، والد (سوزي) وهو يبتسم في سخرية، وبجانبه (سوزي) تجلس ووجهها شاحب، ويبدو الإرهاق والتعب عليها، وبجانبهما رجل يلبس جلباب وعِمَّة... واندفع (إبراهيم) نحو (سوزي) في لهفة، وهي الأخرى ارتمت في حضنه، وقالت: (إبراهيم) مقدرتش أتحمل بُعدك أكتر من كده، اعذرني، زي ما إنت بتضحي علشاني، اسمح لي أنا كمان أضحي علشانك... وبكت.
ردَّ (إبراهيم): أنا كنت جاي خلاص... افرجوا عني... وكنت.....
والد (سوزي) في حزم: كفاية كلام فارغ... يلا ياعم الشيخ طلّقهم خلينا نخلص من الشبكة المهببة دي، وارجع ببنتي... واسمع يا ولد يا(إبراهيم) لما تولد، هابعتلك تيجي تاخدهم وتبعد عنا خالص!!!

يرد (إبراهيم) : اللي بيني وبين (سوزي) أكبر بكتير من جواز... وعمري ما هأقدر أطلقها أو أبعد عنها، حتى الموت ميقدرش يفرقنا عن بعض !!!

والد (سوزي): ابعد عنها يلا.. مش عاوز أسمع كلام تافه زيك.

ترد (سوزي) في استعطاف: أرجوك يا بابي، (إبراهيم) كل حياتي، والموت مش هيفرقنا عن بعض، يا نعيش مع بعض، يا نموت مع بعض... مش ممكن نبعد عن بعض أبدًا !!!

يثور والد (سوزي) ويخرج المسدس، ويهدد ابنته لو لم تطلب الطلاق، هيطلق الرصاص على (إبرهيم) أمام عينيها !!!

تندفع (أم إبراهيم) وتقف أمام ابنها، وتفرد يديها لتحميه: اضربنى أنا يا بيه، وسيب الأولاد يعيشوا مع بعض!!!...

وتندفع (سوزي) وتمسك في (إبراهيم) : لا، لو عاوز تموَّت (إبراهيم) يبقى اضربني أنا الاول!!!

تراجع والد (سوزي) أمام ابنته، وتركهم وخرج من غرفة مأمور القسم، وهو يتوعد بأن ينتقم من (إبراهيم) وأمه !!!

ولم يجد المأمور أمامه، إلا أن يفرج عن (إبراهيم)... وخرج الثلاثة من قسم الشرطة، وهم غير مصدقين هذه الحرية التي أصبحوا فيها...

وعندما وصلوا إلى البيت، رحب بهم الجيران وأهل الحى، وقضوا ليلتهم في سعادة...

وقبل بزوغ الفجر، اقتربت (سوزي) من (أم إبراهيم) وهمست في أذنيها بكلمات، وفي يدها ظرف : أنا حاسة إن بابي مش هيسبنا أنا و(إبراهيم)، خدي الظرف ده خليه معاكي...

تنظر لها (أم إبراهيم) في إشفاق : إن شاء الله مش هيحصل حاجة، الأب والأم ولادهم أغلى حاجة في الدنيا، متصدقيش اللي شفتيه، ده بس زعلانين منك شوية علشان اتجوزتوا من غير مشورتهم، استهدي بالله يا بنتي، وسيبيي الأمور على الله...

وأخذتها في حضنها.

ترد (سوزي) في لهفة وهي تشعر بالألم وتخرج الكلمات في صعوبة : أرجوكي يا(أم إبراهيم) مفيش وقت، الظرف ده متفتحهوش إلا لو حصلي حاجة وحافظي عليه... وأمسكت بيدها وشدت عليها : أولادي أمانة تربيهم طول ما إنتي عايشة، أوعديني.

ترد (أم إبراهيم) وقد تملك الخوف منها، وكانت تود أن تحدثها بصدق حدسها، لكن كذَّبت إحساسها وقالت : متخافيش دي كلها أوهام وبكرة أفكرك.

ولم يمضِ وقت طويل، حتى اشتدت الآلام على (سوزي)، واندفع (إبراهيم) يحملها إلى أقرب مستشفى، وعند الكشف عليها قال الطبيب : الأم حالتها خطيرة جدًا... ولازم تكون تحت الملاحظة فترة طويلة !!!

ارتبك (إبراهيم) وشعر بالخوف الشديد على (سوزي) ولكن أمه كانت تحاول طمأنته والتخفيف عنه... وفي هذه الأثناء حضر بعض

الجيران، معهم ملابس البيبيهات، ليخففوا عن (إبراهيم) وأمه : ربنا يخليهالك، وتشيل ولادك في حضنك...

ولم تمضِ أيام قليلة، حتى تمَّت عملية الولادة، ورُزق (إبراهيم) بالتوأم ولد وبنت، ولم تكتمل فرحته بهما، حتى حضر والد (سوزي) إلى المستشفى، وهو في شدة غضبه، عندما علم أن ابنته في حالة خطرة بعد الولادة، وبدأ اتصالاته لنقلها إلى مستشفى كبير في الخارج لإسعافها، وهو يصرخ في الأطباء : بنتي لازم تعيش، اعملولها أي حاجة، انقذوها بكل ما تقدروا عليه، لغاية لما توصل الطيارة الخاصة وتنقلها للخارج!!!

لكن أمر الله نفذ، وخرج الطبيب يعلمهم بوفاة (سوزي)، وانهار (إبراهيم) وبكى كل الحاضرين، وما أن سمع والد (سوزي)، اشتاط غيظًا، وقامت ثورته، وأخرج مسدسه وأطلقه على (إبراهيم) وهو يقول: زي بنتي ما ماتت، لازم تموت زيها، إنت السبب !!!

فالتف حوله الحُرَّاس ليمسكوا به، لكن كان تصرفه أسرع منهم، وصوَّب فوهة المسدس إلى قلبه، وقتل نفسه وهو يصرخ : (سوزي)... (سوزي)

وانتهى كل شيء في لحظه... وسلمت المستشفى الرضيعين إلى (أم إبراهيم)...

وحملت (أم إبراهيم) الرضيعين، وهي تبكي بحرقة فراق ضناها وزوجته، وما أن وصلت إلى البيت، حتى عرضت عليها جارتها

أن تهرب بالرضيعين إلى القاهرة، فأجابتها : أنا ماعرفش حد في القاهرة؟!!!

فردت عليها جارتها : أختي (نرجس) عايشه لوحدها بعد جوزها ما مات، وإنتي عارفاها وبتحبك وهتفرح بالعيال... وبعدين الهانم دي ست سمّاوية وممكن تؤذيكي وتؤذي الصغيرين!!!

اقتنعت (أم إبراهيم) وأخذت الرضيعين وأشياءها، وعرض عليها (عم دسوقي) سائق التاكسي جارها، أن يوصِّلها لأنه يعرف عنوان (الست نرجس) وكان دائم توصيلها.

كتمت (أم إبراهيم) أحزانها، وعزمت على الوفاء بالوعد، وتذكرت الظرف الذي أخذته من (سوزي) قبل وفاتها، ففتحت الظرف وجدت مفاجأة غير متوقعة !!!

إنه عبارة عن رقم خزنة في البنك ومفتاحها، باسم (أم إبراهيم)... فتأكد حدسها... أن (سوزي) كانت تعلم جيدًا مقدار الشر الذي يكمن داخل عائلتها نحو (إبراهيم).

وما أن وصلت إلى القاهرة، وتخبأت في زحامها، تملكها شعور المجاهد من أجل هذين اليتيمين، وكانت (الست نرجس) أول من ساعدها على تخطي أي عقبة تقابلها... وعملت في شركة لتعبئة الأغذية...

وكلما كبر الطفلان أمامها؛ يمنحانها القوة والإصرار على تكملة المشوار، وأصبح لـ(أم إبراهيم) صيت بين جيرانها، ويعملون على مساعدتها في تربية الطفلين، وكأن الله سخرهم لمساعدتها...

ومرت السنون، حتى دخول المدرسة ومن مرحلة إلى مرحلة، وهي تبذل قصارى جهدها في تربيتهما ليل نهار، وكلما ضاقت بظروف مادية تلجأ إلى عمل إضافي حتى لا تحرمهما من شيء...

وفي يوم توفت (الست نرجس) وحزنت عليها كثيرًا، وتملكها الخوف فترة من الزمن، ولكن ربها كان بجانبها في تسخير أناس آخرين يساندونها في مهمتها...

وكبر الطفلان وأصبحا شابًا يشبه أباه، ويحمل اسمه (إبراهيم إبراهيم) والشابة تحمل وجه أمها البريء وجمالها، ونفس اسمها (سوزي)...

ودخلا معًا الجامعة، وأعجب معيد بـ(سوزي) وطلبها للزواج، ووافقت (أم إبراهيم) وذهبت إلى البنك وفتحت الخزنة، وأحضرت ما بها من مجوهرات وأموال تركتها لهما أمهما (سوزي) قبل رحيلها...

ونادت (أم إبراهيم) على الشابين وقالت : دي أمانة ليكم من أمكم، ائمنتنى عليها، وأخدت عهد على نفسي إني أقسّمها بينكم في جوازكم، وبكده أكون وفيت بالعهد اللي قطعته على نفسي ليكو.

ووجهت حديثها إلى (سوزي) : المجوهرات دي هدية أمك في فرحك، تلبسيها وتكون لبنتك من بعدك بعد عمر طويل.

ترد (سوزي) : أول مرة أشوف مجوهرات بالشكل ده... دي جميلة قوى، قوي يا تيته... شكرًا يا أحلى أم، ويا أحلى تيته في الدنيا، ربنا يخليكي لينا...

وتوجه حديثها إلى (إبراهيم) : أما الفلوس دي كلها بتاعتك تحضر بيها الدكتوراة، وتحقق حلم أبوك فيك، وتكون العين الساهرة على أختك...

وفي حاجة كمان، الشقة دي باسمكم، هدية من (الست نرجس) اللي ساعدتني في تربيتكم، تقدروا تبيعوها إذا كنتوا عاوزين؟...

يردوا في نفس واحد : وإنتي هتروحي فين يا تيته؟!!!

ترد : هارجع اسكندرية، مكاني أعيش فيه باقي حياتي... متقلقوش عليا...

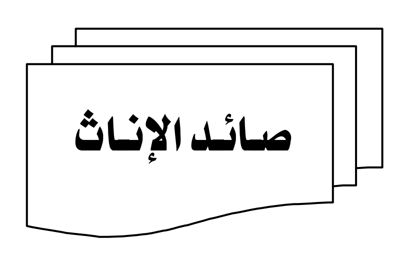
.....

تفيق (أم إبراهيم) على صوت (عم عبده) : (أم إبراهيم) الشاي برد، إنتي إيه حكايتك النهاردة سرحانة طول الوقت... هو إنتي تعبانة ولا حاجة؟

ترد : أيوة شوية... بس الحمد لله أنا خلاص هارتاح...

وكانت هذه الكلمات أخر كلمات تخرج من (أم إبراهيم) ولفظت أنفاسها الأخيرة.

• • •



في الصباح الباكر، في منزل السيدة (عفاف) وهي بيضاء، بدينة القوام، تعمل مدرسة لغة عربية في المدرسة الثانوية بنات، تستيقظ باكرًا، وتتوجه إلى غرفة البنات، (علياء) و(ندا)، وتوقظهما:

- يلا اصحوا يا بنات...

(ندا) طفلة سمراء، نحيفة القوام، جميلة الملامح، في الرابعة عشر من عمرها، في المرحلة الإعدادية، أما (علياء) شابة بيضاء البشرة، متوسطة الجمال، وجهها مشرق بسَّام، رقيقة الملامح، في المرحلة الثانوية...

ثم تتجه إلى غرفة ابنها (رامي) شاب في نهائي هندسة مدني، خمري اللون، طويل القامة، صلب البنيان:

- اصحى يلا يا (رامي) علشان تفطر، يلا بلاش كسل، وفلوس المشروع اللي طلبتها جنبك على الكمودينو.

وتتجه إلى المطبخ لتجهيز الإفطار في حركة سريعة، ثم تُسرع أيضًا في ارتداء ملابسها، وتنادي على زوجها في رفق:

- (كمال) اصحى الإفطار على السفرة، وأنا نازلة مع البنات... على فكرة أخذت منك مصروفات المشروع لـ(رامي) زي ما اتفقنا.

وتستقل السيارة، وتوصِّل ابنتها (ندا) إلى مدرستها الإعدادية:
- خلي بالك من نفسك، وانتبهي لدروسك، وكلي سندوتشاتك...
ترد (ندا) بإيماءة من رأسها على توجيهات أمها...

وتتجه إلى المدرسة الثانوية، وبرفقتها ابنتها (علياء)، وتكرِّر التنبيهات مرة أخرى على ابنتها الثانية، وترد الأخرى بنفس الإيماءة...

ثم تتجه صوب مدرستها، وتلقي تحية الصباح على زملائها، فتجد زميلتها (عائشة) تجلس على مكتبها، وتضع يدها على خدها في صمت: مالك يا(عيشة)؟ ليه زعلانة كده؟...

ترد (عائشة) في حيرة: بنتي (نوال) بعد ما خلص شهر العسل، عاوزة تسيب شقتها، وتيجي تسكن معايا، هي وزوجها، لأنهم مش قادرين على المصروفات، وإنتي عارفة إن البيت يا دوب، بنتي (منار) في أوضة، وهي ثانوية عامة محتاجة تركيز، و(أحمد) في الأوضة التانية، وهو في تانية حقوق ومحتاج يكون لوحده... مش عارفة أعمل ايه؟!!!

ترد (عفاف): البلكونة عندك كبيرة يا (عيشة)، قفليها لـ(أحمد) يستقل فيها لوحده، والحمد لله إنها على صالة، وليها باب منفصل، ولا تزعلي نفسك يا(عيوش)، إيه رأيك في الفكرة دي؟
فلم ترد (عائشة) واكتفت بالتفكير في فكرة صديقتها...

وبعد انتهاء اليوم الدراسي، توجهت السيدة (عفاف) إلى مدرسة ابنتها (ندا)، حتى تنتهي من يومها الدراسي، فحضرت (ندا)

وبرفقتها زميلتها (عبير) : تسمحيلى يا ماما، إن (عبير) صحبتي تيجي تذاكر معايا في البيت، ولما نخلص مذاكرة، ييجي باباها وتروَّح معاه؟

سألتها أمها : هي أستأذنت أمها الأول وسمحت لها؟

فأجابت (عبير) : أيوه وافقت، علشان عندنا امتحان دراسات بكرة...

فسمحت لهما السيدة (عفاف).

وفي طريقها تشتري احتياجات المنزل من الخضروات والفاكهة، وتصل إلى منزلها، لتفرغ كل طاقتها في الإسراع بتحضير طعام الغداء... وفي أثناء تواجدها بالقرب من صالة المنزل، سمعت (عبير) تحدِّث أمها في التليفون : أنا روَّحت مع (ندا) على البيت، علشان عندنا امتحان دراسات بكرة، وها أذاكر معاها...

ولم تسطتع أن تسمع (عفاف) الطرف الآخر...

وبعد قليل، ردَّت (عبير) بحدة على أمها : لا مش هاجي، وهاقعد معاها، وكمان هابات وأروح المدرسة بكرة مع (ندا) !!!

فأظهرت (عفاف) نفسها، وسألت (عبير) : بتكلمي مين؟

ردَّت (عبير) : دي ماما...

وأغلقت الخط سريعًا !!!

(عفاف) : هاتي أسلِّم عليها...

ارتبكت (عبير) : معلش يا طنط أصلها مشغولة دلوقتي، بعد شوية هاطلبهالك.

وانصرفت سريعًا إلى حجرة (ندا).

فأدارت (عفاف) الرقم مرة أخرى: الو... حضرتك والدة (عبير)؟
على الطرف الآخر صوت السيدة: أيوه... مين حضرتك؟
ترد (عفاف): أنا والدة (ندا)... إزيك يامدام... لاحظت إن (عبير) وهي بتكلمك كانت زعلانة... خير في حاجة؟

فأجابت السيدة: أصلها ماقالتليش إنها هتروح مع (ندا) وكنت قلقانة عليها، خلاص مش مشكلة، المهم يذاكروا كويس علشان الامتحان.

فردت (عفاف): إزاي ده؟، أنا سألتها عند المدرسة، إذا كانت أخذت موافقتك قالت أيوه...

فردت السيدة أم (عبير): خلاص أنا مش زعلانة منها، أنا آسفة، هنتعب حضرتك معاها النهاردة، هي دايمًا تعمل كدة، تروح مع أصحابها من غير ما تقولي، وأفاجأ بيها، تتصل بي من عند أصحابها، وبكرة هتروح مع (ندا) الامتحان وترجع على البيت... مع السلامة.

وأغلقت سماعة التليفون.

غضبت (عفاف) من هذا التصرف، وفكرَّت في حل لهذه المشكلة، فاتصلت برقم مديرة المدرسة، واستأذنتها في رقم منزل مُدرِّسة الدراسات، لتستفسر منها على سؤال هام في المادة، لأنها بتذاكر مع (ندا)...

واتصلت (عفاف) بمُدرِّسة الدراسات وسألتها:
ألو... أنا آسفة على الإزعاج، لكن كنت عاوزة أستفسر عن امتحان بكرة لـ(ندا) في أي باب من المنهج؟

فأجابت المُدرسة: أهلاً وسهلاً، مفيش إزعاج ولا حاجة، بس مفيش امتحان ولا حاجة، ده حتى بكرة معنديش حصة في فصل (ندا)... بس كويس إنك اتصلتي بي لإني كنت هاتصل بيكي اشتكي من (ندا)، اليومين دول كسلانة، ومش بتجاوب معايا، ودايمًا تتكلم مع البنت اللي اسمها (عبير) أثناء الحصة، حاولي تبعديها عن البنت دي، لأنها بنت بتاعة مشاكل وسلوكها غير سويّ بالمرة، ودايمًا تتفصل باليومين من المدرسة عقابًا لها، لكن بترجع أفظع من الأول!!! أنا حاولت أكتر من مرة أنصح (ندا) لكن البنت دي ليها تأثير السحر عليها، وبصراحة (ندا) بنت مؤدبة وخجولة ومتفوقة، وخسارة تبقى زي (عبير) وشلتها...

شعرت (عفاف) أن الأرض تدور بها، فشكرت المُدرسة وأغلقت الهاتف... وبعد أن تمالكت أعصابها فتحت الغرفة على الفتاتين، (ندا) و(عبير)، فوجدتهما تقفان أمام المرآة، وتمشطان شعريهما... ارتبكت الفتاتان، عندما وجدتا (عفاف) أمامهما...

فقالت لهما: كنت بأنادي عليكم، وانتم مش سامعين، علشان تتغدوا، يلا تعالوا معايا على المطبخ...

وسارت وتبعتها الفتاتان دون أن تنطقا أي كلمة...

وجلست معهما على طاولة الغداء، وقالت : كنت فاكرة إنكم بتذاكروا زي ما قلتوا !!!

فأجابت (ندا) في ارتباك: إحنا ذاكرنا شوية قليلة، وقلنا بعد الغدا هنكمل...

وأخذت الفتاتان تنظران لبعضهما في ارتباك...

فوجَّهت (عفاف) الكلام لـ(عبير) : إنتم من مصر ولا غرباء؟ وماما بتشتغل ولا ست بيت؟ وبابا بيشتغل إيه؟ وعندك إخوات؟

أجابت (عبير) : أيوه إحنا من مصر، وساكنين في امبابة، وماما بتشتغل خياطة لأنها مش متعلمة، وبابا عنده محل يبيع تفصيل ماما، وعندي أخ أكبر مني في ثانوى...

فردَّت عليها (عفاف) : بس مامتك باين عليها ست طيبة قوي، إنتي بقى طيبة كده زيها؟

ترد (عبير) : أيوه هي طيبة، بس بتحب أخويا (مراد) أكتر مني، وبتلبي كل طلباته، علشان هو أبيض وحلو زيها، حتى بابا هو كمان بيحب أخويا...

(عفاف) : أكيد أخوكي بيسمع كلامهم أكتر منك... وبعدين يا بنتي مفيش أم وأب يفضَّلوا ولادهم عن بعض علشان شكلهم، لأن الشكل ده خلقة ربنا... وبعدين تعالي هنا، مش هيا برضو اللي فصّلتلك هدومك اللي إنتي لابساها دي، لو مش بتحبك كانت تعبت عشانك؟، وباباكي مدخلك مدرسة خاصة بمصروفات غالية، لو مش بيحبك ماكنش صرف عليكي كده ولا ايه؟. يلا خلصوا أكلكو علشان أذاكر معاكوا...

ردَّت (ندا) : هه، حضرتك هتذاكري معانا؟، لا مفيش داعي، لمَّا ييجي أخويا (رامي) يراجع معانا، علشان حضرتك تعبانة، وده وقت الراحة بتاعك...

ترد (عفاف) : لا مش مشكلة، أنا مش تعبانة، علشان الامتحان يعدي بسلام...

وبعد قليل، حضر الأستاذ (كمال) وهو مهندس في شركة خاصة، ومعه ابنه (رامي)، ورحب بزميلة ابنته، وتناولوا طعام الغداء، واستأذن في قيلولة.

وبعد قليل، سمعت (عفاف) (ندا) وهي تكلِّم أخيها (رامي) : ممكن يا أخويا الحبيب تذاكر لنا دراسات، ولو رفضت تبقى مش بتحبني !

فنادت (عفاف) : (ندا) تعالى إنتي، و(عبير) علشان أذاكر معاكم في الصالة زي ما اتفقنا، علشان (علياء) عندها مذاكرة كتيرة النهاردة...

وبعد قليل، حضرت (ندا) لأمها وقالت لها : (عبير) هتروَّح علشان تعبت فجأة...

فقالت (عفاف) : طيب خليها تلبس وأنا هأوصلها، حتى ممكن تيجي إنتي كمان...

ارتدت (عفاف) ملابسها بسرعة، وقبل أن تفتح باب الغرفة، سمعت (عبير) : ها أعمل إيه دلوقتي في (حازم) اللي مستنيني تحت بيتكوا يا (ندا)؟ روحي قولي لمامتك أخوها جه، وهتروَّح معاه...

ففتحت (عفاف) باب الغرفة، وقالت : يلا يا(عبير) علشان أوصلك، وأتعرف على مامتك.

فردَّت (عبير) : حاضر... يلا يا(ندا).

وأثناء ركوبهن السيارة، بحثت (عفاف) عن الشاب الذي كان في انتظار (عبير) أسفل المنزل، وشكَّت في أحد الاشخاص، مهندم الملابس، خمري، طويل، قوي البنيان، ينتظر بجانب سيارة هيونداي حمراء اللون... فنظرت إلى (عبير) وجدتها تشير له في خفاء، وتبتسم، فأيقنت أنه هو، فطلبت من الفتاتين ركوب السيارة حتى تحضر لهما، وتوجهت (عفاف) إلى البواب وحدثته وأشارت له بشيءٍ ما...

وقبل أن تتحرك بسيارتها، كان البواب اشتبك مع هذا الشاب، وجمع على صوته بوابين العمارات المجاورة، وعلا صوتهم واشتبكوا بالأيدي !!!

فارتبكت (عبير) وقالت: الحقي يا طنط البوابين بيضربوا حاااااز قصدي الشاب ده !!!

فأجابتها (عفاف) : تلاقيه حرامي، وكان عاوز يسرق حاجة مش بتاعته ودلوقتي ياخد عقابه...

فردت (عبير) في ارتباك أكثر، ودموعها تتساقط: بس ده مش حرامي ولا حاجة، ده شكله ابن ناس خالص، شوفي العربية اللي راكبها واللبس اللي لابسه، أرجوكي ياطنط ادَّخلي قبل ما يموتوه هه!!!

ترد (عفاف): لا مش هتوصل للموت، ده أدب بس...

وتحركت بسيارتها

...

(عبير) و(ندا) في صوتٍ واحد : يعني إيه بوابين يضربوا واحد محترم زي ده؟ المفروض تتدخلي وتمنعي اللوباش دول... يعني لو (رامي) مكان الشاب ده كنتي هتسيبيه يتضرب كده؟ !!!

(عفاف) : أولاً البوابين مش أوباش، عيب تقولوا كده عليهم لأنهم دول يعتبروا حارسين العمارة وسُكَّانها من أي حد بيتعدى حدوده، وده مكانش رأيك أبدًا يا(ندا) عن (عم عبده) قبل كده، مش فاكرة لما مسك الحرامى اللي كان هيسرق طنط (صباح) اللي في الدور الخامس، وقتها روحتي ادتيله الشيكولاتة بتاعتك مكافأة ليه... وبعدين تعرفوا منين إن الشاب ده محترم ولا لأ؟... ولو (رامي) عمل زي الشاب ده ووقف تحت عمارة من غير لازمة كده، يستاهل إلى هيجرى له...

(عبير) وهي تجفِّف دموعها : ممكن أعرف ليه حضرتك ضد الشاب ده؟

(عفاف) : أنا يا بنتي ولا ضده ولا معاه، ده مجرد استنتاج... وإنتي ليه زعلانة أوي كده هو أنتي تعرفيه؟ !

ترد (عبير) في ارتباك : لا... لا ما أعرفوش ولا حاجة، بس صِعب عليا.

(عفاف) : لا ما يصعبش عليكي غالي، لازم تعرفوا إن الناس مش بشكلهم ولا بلبسهم... متتغروش بالمناظر ومتصدقوش أي حد وخلاص، إنتوا لسه صغيرين والدنيا فيها كتير.

وسألت (عفاف) (عبير) عن الطريق إلى البيت، وبدأت تدلها، حتى وصلنَّ إلى البيت، وكان داخل حارة ضيقة، وشارع مكسر، وبه حُفر كثيرة...

فطلبت (عبير) منهما النزول، وتكملة الطريق سيرًا، لأنه من الصعب دخول سيارة بحجم سيارة (عفاف).

وصلنَّ إلى البيت؛ وكان متهالكًا، وأشارت لهما (عبير) على محل والدها، وصعدن البيت، الذي كان غير مرتب، وقصاقيص القماش متناثرة في كل أرجاء الصالة، ومنيكانات ترتدي أشكالاً متنوعة من الفساتين؛ الطويل والقصير والأحمر والأصفر، وبجانب كل منيكان فتاة في العشرين من عمرها تمسك بالإبرة والخيط، وتضبط ما أمامها، وعلى الجانب الأيمن من البيت، ثلاث ماكينات خياطة، تتدلى منها الأقمشة بألوانها المختلفة، وتجلس فتايات في نفس العمر تقريبًا خلف كل ماكينة تعمل عليها، لتصدر أصواتًا مزعجة، وفي الجانب الآخر كنبة ومقعدين متهالكين لا يتحملان الجلوس عليهما.. ومن كثرة الإزعاج لم ينتبه أحد لدخول (عفاف) والفتاتين، إلا عندما صاحت (عبير) بصوتٍ عالٍ: ماما... ماما إنتي فين؟

تخرج سيدة من حجرة جانبية في العقد الثالث من العمر، بيضاء البشرة، غليظة الملامح، طويلة، ليست بدينة، تلملم شعرها الذهبي بضفيرة طويلة تنسدل خلفها، ترتدي جيب أسود قصير كالحة، وعليها بلوزة موف شرب عليها الدهر...

تجيب بصوت أجش : جيتي ليه؟ مش قلتي هتباتي عند صاحبتك النهاردة؟ كنا هنرتاح منك النهاردة... يا فرحة ما تمت...

فتشدد (عبير) على شفتيها لتداري خجلها : أعرَّفك طنط (عفاف) ماما (ندا) صاحبتي، جت تتعرف عليكي.

ترد أم (عبير) في لهفة : أهلاً وسهلا... هتفصلي ولا هتشتري من المحل على طول؟، تحت أمرك.

تجيب (عفاف) في ابتسامة تعجبية من طريقة ترحيبها : لا شكرًا، ده تعارف.

ترد (عبير) لإنقاذ الموقف، وفي صوت يخلو من الرقة : معلش يا طنط، أصل ماما متعرفش غير الزباين اللي بتفصّل أو تشتري عندها، اتفضلوا من هنا... نفسي أهرب من البيت ده بقى قبل ما أموت من دي عيلة!!!

وسارت (عبير) وسارا وراءها، ودخلت غرفة أخر البيت، مكوَّنة من سرير مفروش عليه ملاءة منقوشة برسومات لعب أطفال، وبها مكتب صغير، ودولاب صغير، وبلكونة تغطيها ستارة أورجانزة منقوشة بتوم اند جرى، وفي كل ركن بها عرائس أطفال، أو دبدوب كبير، أو كلب كبير لعبة، وكمبيوتر بكاميرا...

تعجبت (عفاف) من ترتيب الغرفة بهذا الوضع، مقارنة بكم الإهمال في خارجها، فقبل أن تسأل سمعت ابنتها (ندا) تقول في انبهار : الله، أوضتك جميلة أوي يا (عبير)، مش كده يا ماما؟.

أجابت (عفاف) : فعلاً حلوة.

ترد أم (عبير) : يا ريتها عجباها، كل يوم تطلع لنا بحاجة شكل عاوزاها... أنا وأبوها مش مخلينهم هي وأخوها نفسهم في حاجة إلا ونجيبهلهم، من أغلى حاجة في السوق، حتى شوفي دولابها من

أغلى المحلات في وسط البلد، أغلى موبايل بكاميرا في إيديها هي وأخوها، وكل يوم أديها عشرين جنيه مصروف، حاجات تعيش معاهم العمر كله... هي المحروسة بنتك بتاخذ مصروف كل يوم زيها كده؟

ردت (عفاف): لا المهم مش المصروف أو أغلى لبس في المحلات أو الموبايل، المهم تربيتهم على الأخلاق والقيم اللي هتعيش معاهم العمر كله.

يسمعنَّ صياح رجل بصوت غليظ: أنتِ فين يا أم (مراد)...

ترد في ارتباك أم (عبير): أيوه أنا هنا في أوضة (عبير)، تعال... ده أبو (عبير).

يظهر رجل غليظ الوجه، كثيف الشارب، أسمر غامق اللون، قوي البنيان، يرتدي قميصًا رجاليًا أبيض، وبنطال كُحلي يقول: هي بسلامتها شرَّفت...

ترد أم (عبير): أيوه... الست الأبلة أم (ندا) صاحبة (عبير).

يرد في استعجال: أهلاً وسهلاً نورتو الحارة كلها... فين الشغل اللي هينزل المحل؟، بسرعة لحسن سايب المحل على بعضه... لو احتجتوا حاجة حلوة هتلاقوها عندنا... اتفضلوا خدوا فكرة... شرفتم وآنستم.

وينسحب أبو (عبير) وأمها من أمام (عفاف) و(ندا).

وتنظر (عفاف) إلى (عبير) فتجدها تحاول أن تخبئ نفسها من شدة الخجل، فتستأذن في الانصراف...

وفي أثناء العودة إلى البيت تجد ابنتها (ندا) في حالة صمت فتسألها: ليه السكوت ده يا(ندا)، بتفكّري في إيه؟

ترد (ندا): أصل (عبير) صعبانة عليا أوي، شوفي أمها وأبوها مش بيحبوها إزاي، رغم إنها بنت كويسة أوي، وأنا بأحبها جدًا.

(عفاف): شوفي يا بنتي، كل أب وأم لهم طريقة في ترجمة الحب، وتوصيله لأبنائهم على حسب مفهومهم، يعني مثلاً أهل (عبير) حبهم هو توفير الأشياء الغالية من لبس وموبايل ومصروف وأشياء أخرى، وكل تفكيرهم إن هو ده اللي هيسعدهم ويرضيهم... أما إنها بنت كويسة، دي ممكن أعرف حكمتي عليها كده إزاي؟

ترد (ندا) في لهجة مستنكرة: دي مش كويسة؟!!، دي بتحبني جدًا، وبتفضَّلني على كل البنات، ودايمًا تسأل عليا.

ترد الأم وهي تتحلى بالصبر: شيء جميل، بس برضه ما جاوبتيش على سؤالي، الكويس يا بنتي هي أخلاقها، تفوقها في دروسها، رأي مدرسيها فيها، بتكلم مين، وبتصاحب مين، وطريقة لبسها الملابس الضيقة، وردها على أمها وأبيها...

تصمت (ندا) ولا ترد على كلام أمها... فتضيف: عمومًا يلا نروَّح، علشان تلحقي تذاكري امتحان بكرة.

وعندما تصل إلى العمارة، يهرول البواب نحو سيارة (عفاف) حتى يساعدها في اصطفافها.

فتنتظر إليه (ندا) وتسأله: ليه يا (عم عبده) ضربت الشاب اللي كان واقف قدام العربية الحمرا؟

فأجاب : لأنه واقف من فترة طويلة، وبيرن بالكلاكس، وعامل إزعاج، ولما سألته مستني مين؟ رد عليا بقلة أدب: إنت مالك هو أنا واقف فوق راسك؟، ده يصح؟.. وقلتله عيب عليك، راح خبطني برجله، يرضيكي كده يا آنسة؟

(ندا) : معلش يا (عم عبده) متزعلش...

وانصرفت مسرعة إلى الأسانسير تنتظر أمها حتى تغلق السيارة.

تسأله (عفاف) : كتبت رقم العربية ؟! طيب هاته بسرعة...

وأخذت رقم السيارة التي كان يركبها الشاب وصعدت إلى منزلها.

وجدت زوجها (كمال) يسألها : ليه اتأخرتوا كده، مش (ندا) عندها امتحان بكرة ؟.. هاتي كُتبك يا(ندا) وتعالي أذاكر معاكي، وخلي ماما ترتاح شوية...

وتتجه (عفاف) إلى غرفة نومها وتغلقها عليها، وتخرج تليفونها المحمول من حقيبتها، وتطلب :

- ألو... (سماح) إيه اخبارك؟، معلش آسفة للإزعاج، بس طالبة منك طلب من زوج أختك، سبق وقلتيلي إنه رائد في المرور.

ترد صديقتها وزميلتها في المدرسة : أهلاً، الحمد لله، لا مفيش إزعاج ولا حاجة، كنت بأحضّر دروس بكرة، اتسحبت منك الرخصة ولا إيه؟

ترد (عفاف) : لا أبدًا، أصل فيه شاب بيركب عربية هيونداي حمرا برقم...... وبيعاكس بنت جارتي، وقالت جارتي تعرفه مين الأول

وقصده إيه؟ قبل ما تشتكيه يمكن يكون قصده خير، أصل البنت على وش جواز يا ستي...

تجيب (سماح) : خلاص ولا يهمك، هاجبلك خبره إن شاء الله ... ههههههههه.

وفى أثناء تبديل ملابسها تسمع زوجها (كمال) وهو يتعصب على (ندا) بصوتٍ عالٍ، فتسأل عن السبب فيرد (كمال) : تعالي، شوفي البنت دي مش مذاكرة ولا حاجة، وعايزة تنام، ومش عارف هتعمل إيه في الامتحان بكرة، هي ناسية إنها في شهادة السنة دي ولا إيه؟

ترد (عفاف) بهدوء : سيبها تنام دلوقتي، وربنا يحلها بكرة، تصبحي على خير يا(ندا)...

يدرك (كمال) أن وراء كلام زوجته شيئًا ما، فيتبعها إلى غرفتهما ويستفسر عما حدث، فتقص عليه ما حدث، وكلما تعصب تهدئه.

فقال : ليه ده كله، ابعدى بنتك عن البنات دي بالأمر، وإذا مارضيتش احبسيها في البيت.

ردَّت (عفاف) : بالطريقة دي بنتك ممكن تعمل حاجة لا أنا ولا إنتي نقدر نتحملها، صدّقني العنف في الحالات دي مش بيجيب نتيجة ايجابية، لازم نهدأ ونتعامل بحكمة، لأني لو بعدتها عن واحدة زي (عبير) بالإكراه، هتظهر لنا مليون (عبير) تاني في حياتها، وممكن وقتها تقع في براثنها، وتضيع بنتنا للأبد... وبعدين إحنا عمرنا ما

استعملنا العنف مع أولادنا، دايمًا نعاملهم بالحكمة وبالعقل، ونفهمهم الغلط والصح بهدوء.

يرد (كمال) : إحنا قصّرنا في ايه؟ ربينا عيالنا زي بعض مقصرناش مع حد فيهم.

تهدئ من روعه : متشغلش بالك، الأمور لسه تحت السيطرة، ويمكن (ندا) محتاجة اهتمام زيادة شوية، أهم شيء إنك تكون صبور وبلاش تتعصب عليها دلوقتي، لاحسن نفقد السيطرة عليها، لو العنف كان ينفع كنت قمت معاها بالواجب هي وصاحبتها...

وفي الصباح، توصِّل (عفاف) (ندا) كعادتها، فتتقابل مع مُدرسة الدراسات مس (فوزية) على باب المدرسة، فتسرع (عفاف) لتسلم عليها أمام ابنتها (ندا)، فتقول لها وهي تشد على يديها : صباح الخير يا مس (فوزية)، النهاردة اعذري (ندا) في امتحان النهاردة، لأنها ماذكرتش كويس، لكن المرة الجاية أوعدك هتكون أفضل...

فتجيب مس (فوزية) : مين قال إن فيه امتحان النهاردة؟، إيه يا (ندا) بتكدبي على ماما كمان؟

تنظر (ندا) في الأرض من الخجل، وتسرع في دخول فصلها، هربًا من نظرات أمها التي تعمدت النظر لها...

وتوصي (عفاف) مس (فوزية) قائلة : من فضلك، إذا لاحظتي أي تصرف غير مريح أو غريب من (ندا) اتصلي بيا بأسرع ما يمكن..
مس (فوزية) : ماتشغليش بالك، من هنا ورايح مش هتغيب عن عيني.

انصرفت (عفاف) إلى مدرستها وفكرها مشغول، حتى تقابلت مع زميلتها (سماح) وسألتها، فأجابت بأنها أخبرت زوج أختها وتنتظر منه الرد في أي وقت، وسوف تخبرها بمجرد اتصاله.

كان انتظار (عفاف) على أحرّ من الجمر، حتى حضرت (سماح) مبتسمة، وقالت : ابشري، ده طلع استشاري دكتور باطنة وقلب، واسمه (أ. د. طه عبد الحميد) وعيادته في شارع دمشق مصر الجديدة، وموعد العيادة من الساعة واحدة لتلاتة عصرًا كل يوم، فأكيد ده ابنه.

شكرتها، وطلبت (عفاف) من مديرة المدرسة إذن في الانصراف مبكرًا لأمر مهم... واتصلت بابنها (رامي) وطلبت منه أن يمر على أختيه لكي يوصلهما إلى البيت لأن لديها موعد مهم... وسارت حتى وصلت إلى العيادة، ودفعت "كشف مستعجل" حتى حان دورها، ودخلت على الطبيب وجدته رجلاً كبيرًا في السن، تعدى الخمسين من عمره، وسألته: حضرتك عندك عربية حمرا هيونداى برقم....؟

فأجابها الطبيب في اندهاش: خير يامدام، أنا مش فاهم حاجة؟

فقصت عليه القصة التي حدثت من هذا الشاب وأعطته أوصافه.

فأجابها الطبيب : الأوصاف اللي وصفتيها هي أوصاف الميكانيكي اللي بأصلح عنده العربية، وطلب مهلة أسبوع، آخره بكرة ويسلمني العربية، وأنا معنديش غير ابن واحد معيد في جامعة عين شمس، وبيوصلني كل يوم ومتزوج من سنتين.

فسألته (عفاف): فين الورشة دي؟، اديني العنوان.

قال: هاروح معاكي دلوقتي ونتأكد إن كان هو اللي بيعمل كده، ولا العربية اتسرقت منه ؟!!

وذهبا إلى مكان الورشة، بعد أن اتصل (د. طه) بابنه، وقصَّ عليه ما حدَّثته به (عفاف)... وما أن وصلا إلى الورشة، وجدا صاحب الورشه أمامهما... فسأله الطبيب: فين العربية يا أسطى (محمد)، عاوز أشوفها دلوقتي؟!!

فأجابه (عم محمد): لسه في التصليح، للأسف مش موجودة هنا، راح الصبي بتاعى يكمِّل لها شوية حاجات نقصاها من السوق، ربع ساعة وييجي، بس مش هتقدر تاخذها النهاردة، بكرة بمشيئة الرحمن على أخر النهار تكون جاهزة، اتفضلوا شاي.

فسأله الطبيب وتقف بجانبه (عفاف): اسمه إيه الصبي بتاعك؟،مش هو برضه الشاب الخمري الجامد ده شوية، وساكن فين؟

فيجيب (عم محمد): أيوه، هو اسمه (حازم)، ماعرفش ساكن فين، أصله عندي من شهر واحد، بس واد شاطر في رش الدوكو، هو في حاجة يا بيه؟

فيسحب الطبيب (عم محمد) جانبًا: أصل واحد صاحبي شافه راكب العربية بتاعتي، وبيعاكس البنات عند المدرسة الخاصة في الزمالك.

لطم (عم محمد) على خده وأخذ يرد: يا نهار أسود يا بيه، ده لو كان كده هافتح دماغه بالمفتاح ده، فين المدرسة دي يا بيه؟

يبدِّل (عم محمد) ملابسه بسرعة، ويذهب في سيارة (عفاف) ومعهما الطبيب، وتسير بأقصى سرعة، ويرن الهاتف المحمول

الخاص بـ(عفاف) فتجد رقم مس (فوزية) التي تقول لها : تعالي بسرعة يا(عفاف)، (ندا) خرجت مع (عبير) من المدرسة، وركبوا عربية هيونداي حمرا، وفيها شابين !!!

...

لم تتمالك (عفاف) ما سمعته من حديث المُدرِّسة، وأطلقت صرخة عالية، فاختلت عجلة القيادة من يدها، لولا أن مدَّ الطبيب يده، ولفها نحو اليمين وصرخ: دووسي فرامل بسرعة... وقفي هنا... اركني العربية.

وما أن وقفت السيارة، حتى انهارت (عفاف) باكية، ولم تستطع الإجابة على تساؤل الطبيب تارة، وعم محمد تارة أخرى... وفتح الطبيب باب السيارة الأمامي، قبل أن يتجمع المارة حولهم، وكان يردد حتى يبعد المارة من حولهم: من فضلكم ده موضوع شخصي، مفيش داعي للتجمع كدا.

وفتح باب السياره ناحية (عفاف)، وطلب منها أن تترك عجلة القيادة له، وبالفعل سمعت (عفاف) الكلام، وركبت بجانبه، وتحرك الطبيب بالسيارة، وهو يردد : اهدي وحاولي تتماسكي، عشان نعرف الحكايه إيه؟... إنتي سيدة قوية، ولازم تكوني كده على طول... اهدي علشان نعرف نتصرف صح...

يرد (عم محمد) : اهدي يا هانم، وأي خدمه تطلبيها مني، أنا تحت أمرك، بس أهم حاجة، تصلي على النبي، علشان نفكر صح.

تماسكت (عفاف) وأخذت تردد الاستغفار مرات عديدة وبعدها قالت: ابن الكلب أخد البنتين في العربية، من قدّام المدرسه ومعاه شاب تاني، ومش عارفة ممكن ياخذهم ويروحوا فين؟... لازم نبلغ البوليس.

أوقف (الدكتور طه) السيارة وقال : نروح قسم الشرطة نبلغ عن سرقة العربية...

وتوجهوا جميعًا إلى قسم الشرطة، وأدلت (عفاف) بكل ما تعرفه، حتى وصلت إلى عنوان (الدكتور طه)، وجاء الدور على الطبيب، الذي سجّل كل أوصاف السيارة.

وعند سؤال (عم محمد) قال : طول عمري سمعتي نضيفة، وماحصلش إن عربية اتسرقت من عندي، وأعمل بما يرضي الله، لما جالي الشاب ده علشان يشتغل عندي، جرَّبته الأول وكان كويس، ومعروف في وسط الكار بتاعنا باسم (زيكو دوكو)، والحقيقة ماشفتش عليه حاجة وحشة في الشغل.

سأله الضابط : بيشتغل عندك من امتى؟... وإزاي بياخذ العربية خارج الورشه؟ إنت متعود تخرَّج عربيات الزباين مشاوير خاصة؟

يرد (عم محمد) : بيشتغل من شهر واحد بس... أبدًا يا بيه عمرنا ماخرجنا بعربيات الزباين مشاوير، دي أول مرة يحصل كده.

ترد (عفاف) : إزاي والعربية كانت معاه إمبارح عند بيتي الساعة السابعة بالليل؟

يرد (عم محمد) : إمبارح كان أجازة الورشة، والعربيات كلها جوة الورشة مقفول عليها... والمفتاح معايا وماادتهوش لحد إلا....

يسأله الضابط: إلا مين معاه مفتاح الورشة؟

يرد (عم محمد) : النسخه التانية مع (حودة) السمكري، وده واد أمين، ومعايا من أربع سنين، وعمره ما عمل حاجة أحاسبه عليها.

يرد الطبيب: هو فين حودة السمكري دلوقتي؟

(عم محمد) : خرج يجرَّب العربية مع (زيكا) ويجيبوا طقم سرفيس لعربية تانية.

ترد (عفاف) : يبقى هو ده الشاب التاني اللي في العربية مع (حازم) من فضلك يا حضرة الضابط انقذوا البنتين بسرعة قبل ما تحصل مصيبة !!!

يرد الضابط في سرعة : اهدي يا مدامن هاجبهملك من قفاهم وأعلقهملك في السقف... هات يا (عم محمد) عنوان العيال دول، ونمر الموبايلات بتاعتهم، وأوعى تقول معرفش لحسن مش هارحمك !!!

يرد (عم محمد) في ارتباك: حاضر يا بيه... هما ساكنين مع بعض في أوضة على سطح عمارة في ألف مسكن ودي نمرهم...

ويجري الضابط اتصالاته، للإبلاغ عن أوصاف العربية في كل أنحاء الزمالك والمناطق المجاورة لها، وضبط وإحضار من فيها... وأبلغ عن أوصاف الشابين وأرقام تليفوناتهم.

وأخذ الضابط قوة من القسم، يتحرك بها إلى منطقة سكن الشابين، فطلبت منه (عفاف) أن ترافق القوة، فرفض الدكتور خوفًا عليها، لكنها اصرت واستحلفت الضابط، وأكدت أنها سوف تتماسك مهما حدث.

وخرجت (عفاف) والدكتور مع الضابط في الحملة، وتركوا (عم محمد) متحفظين عليه في القسم.

وفى أثناء الطريق، أخذت (عفاف) تردد الآيات القرآنية، حتى لا ترى مكروهًا في ابنتها.

وبعد قليل، وجدت اتصالاً من ابنها (رامي)؛ ردَّت في تماسك: أيوه يا (رامي) ماتقلقش على أختك (ندا)، هي معايا في مشوار، روح إنت وأختك على البيت، وأنا هأجيب (ندا) وآجي بعد شوية.

تسمع ابنها يقول: تحبي أجيلك، ونروَّح مع بعض؟.

ترد: لا... لا.. ليه مش هتأخر إن شاء الله.

تغلق التليفون، ويحدثها الدكتور : إن شاء الله، ربنا هيكرمك في بنتك ومش هيصيبها مكروه بإذن الله.. بس اتماسكي كده على طول.

وتسير سيارة الشرطة مسرعة في الطريق، وتصل إلى سكن المتهمين، ويطلب الضابط من (عفاف) و(الدكتور طه) عدم الصعود، حتى لا يصيبهما أذى لو حدث اشتباك، لكن (عفاف) تصر على الصعود، وتؤكد له أنها سوف تلتزم بالتعليمات إذا استدعى الأمر ذلك...

ينتشر عساكر الشرطة ويحاصرون العمارة، ويصعد الضابط ومعه باقي القوة من العساكر، وتسير في الخلف، (عفاف) ومعها الدكتور الذي أصرَّ أن يلازمها حتى لا تُصدم من شيء.

وما أن وصلوا إلى السطوح، حتى أعطى الضابط تعليماته بإشارة معينة بالهجوم...

وانتظرت (عفاف) والدكتور خارج السطوح.

وما أن اقتحموا الغرفة، وجدوا شخصًا واحدًا نائمًا، وفزع بصرخة، حضرت على إثرها (عفاف) وتبعها الدكتور... غرفة متسخة ومكسرة، وبها ثلاث أسِّرة متهالكة، وجدرانها مشققة، وليس بها منفذ غير شباك قديم، من شدة اتساخ الغرفة ينبعث منها رائحة كريهة، وشديدة الظلام، وكل ما في الغرفة مبعثر على أرضية الغرفة، ولولا أنها فوق السطح كان يُطلق عليها اسم "مقبرة" !!!

وسأله الضابط: إنت مين يلا؟

أجاب : أنا (سيد) يا بيه... والله يا بيه ماعملتش حاجة.

رد الضابط: فين الواد (زيكو) و(حودة)؟... انطق... وفين حاجتهم؟

أجاب : معرفش حاجة يا بيه... وحاجتهم في الأكياس دي.

سأله : إنت بتشتغل معاهم في الورشة؟... انطق لحسن وحياة أمك أعلقك في السقف... إنت شارب حاجة ياد؟

أجاب : لا يا بيه... أنا بأسرح بترمس بعد العصر... والله ما بأشرب حاجة.

بعد التفتيش وجد العسكري في الأكياس ورقتين وأعطاهم للضابط.

الذي قال: دا إنت نهارك اسود... ورقتين الزواج العرفى دول بتوع مين ياد يا ابن الكلب؟!!!

أجاب : والله يا بيه إن شالله أعمى مش بتاعتي... دي بتاعت الواد (زيكو) الله يخرب بيته... واحدة منهم بتاعت البت (سنيه) اللي بتخدم في شقة الأستاذ (رفعت)، والتانيه مش عارف مين (هناء) دي، بس سمعته مرة بيقول إنها في مدرسة ثانوي في المهندسين، وأبوها غني قوي والتالته بنت في إعدادي في الزمالك وهما اللي بيصرفوا عليه، وبيجيبوا له اللبس ده والأكل كمان... والله يا بيه أنا قلتله إنه هيودينا في داهية، بس ماسمعش كلامي !!!

يسأله الضابط في عصبيه : ياولاد... وفين الزفت (حودة)؟... متجوز كام واحدة هو كمان؟... رد انطق.

يرد : والله يا بيه ماعرفش، بس قاله هيجوزه واحدة النهاردة، صاحبة البت اللي في الإعدادية في الزمالك يا بيه.

وما إن سمعت (عفاف) حتى لطمت على وشها، وهجمت على (سيد) تضربه... لولا أن مسكها الدكتور والضابط وهي تصرخ : ياولاد الكلب...

وأخذت ترتعش، ومسكها الدكتور والعسكري، وانزلاها إلى السيارة، وقبض الضابط على (سيد) ليعرّفه شقة الأستاذ (رفعت)، ولما فتح الباب وجد صبية في سن الخامسة عشر، سمراء قصيرة، ترتدي جلبابًا واسعًا ومنقوشًا، وتضع على رأسها منديلاً بـ"أوية"، وسألها الضابط: إنتي سنية؟... تعالي معانا.

خرج في هذا الوقت رجل كبير في سن الشيخوخة، ومحني الظهر، وقال: خير يا حضرة الظابط... عملت إيه سنية؟

فأخرج الضابط ورقة الزواج العرفي وأعطاها له: هانسألها سؤالين في القسم ونرجعها لك تاني.

ويمد يده الضابط ويشد (سنية)، وهي تبكي وتلطم على وجهها، ويطلب الأستاذ (رفعت) أن يسمح له أن يحضر مع (سنية)، فسمح له.

وفى طريق العوده إلى قسم الشرطة، يتلقى الضابط إشارة بالعثور على السيارة المسروقة، والأشخاص المطلوبين، وهم في طريقهم إلى قسم الشرطة.

وما أن سمعت (عفاف)، حتى تمنت أن تصرخ في إشارات المرور التي تعطلهم حتى يفتحوا الطريق، ولكن تمالكت نفسها، رغم أنها كانت تشعر أنها أصابها الشلل التام، الذي سوف يمنعها من السير بعد ذلك، لو تزوجت ابنتها (حودة السمكري) مثل صديقتها (عبير).

ووصلت السيارة إلى قسم الشرطة، وجدوا سيارة (الدكتور طه) أمام القسم... واستجمعت (عفاف) كل قوتها، واندفعت داخل القسم، تبحث في كل مكان بالقسم، حتى وجدت ابنتها (ندا) و(عبير) أمامها، فانقضت على الفتاتين، تمسكهما من شعورهما وتخبطهما في بعضهما كالبيض، لكن منعها العساكر وأجلسوها، وأمرها الضابط إذا لم تستطع أن تتمالك أعصابها لن يسمح لها بحضور التحقيق.

وأخذت (ندا) تبكي وتصرخ : سامحيني يا ماما مش هاعمل كده تاني.

وسألتها (عفاف): اتجوزتي الجربوع ده عُرفي؟... انطقي.

أجابت (ندا) : لا... لا والله ماعملتش كده... أنا خرجت معاهم في العربية، ودي أول مرة أعمل فيها كده،... وأخر مرة... سامحيني.

وصاح الضابط بإلزام السكوت للجميع.

وفتح المحضر، ونادى العسكري على (حازم) وشهرته زيكو.

حضر أمام الضابط وقال : نعم يا بيه... اسمي (حازم) وشهرتي (زيكو دوكو).

سأله الضابط : إنت سرقت العربية من الورشة عدة مرات بدون علم صاحب الورشة، وسرقت المفاتيح من (حودة) السمكري؟

(حازم) بارتباك: محصلش يا بيه.

يرد الضابط بعصبية : لو ماعترفتش هكهربك ياد يا ابن... إنت عليك شهود يلا.

يقول (حازم) مترددًا : أيوه حصل يا باشا بس بلاش الكهربا دي، أنا هقول على كل حاجة... لما بنقفل الورشة أروح أبعد شوية عن المنطقة حتى يهدأ الشارع فأرجع وأفتح الورشة، واطلع العربية اللي على مزاجى، وأغيّر لبسي فيها، وأطلع أروح للبنات... ويوم الأجازة أجيب العربية اللي هاخذها، من قبلها بيوم عند الباب، وأروح الصبح بدري أخدها وألف بيها شوية، لغايه ما أقابل بنت حلوة أركِّبها، وكده...

يسأله الضابط : إنت متهم إنت و(حودة السمكري) لأنه بيسهل لك سرقة العربيات من الورشة، هو اللي بيديك المفاتيح.. لمعاكسة البنات.

يرد : لا يا باشا، الحق (حودة) ملوش دعوة، أنا اللي سرقت المفتاح وعملت زيه... والنهارده أول مرة ييجي معايا، كنت عاوز أجوِّزه زيي، لكن ماقدرش يقنعها.

يشهر الضابط الورقتين العرفيتين : تقدر تقول إيه ده؟ لقيناهم في أوضتك، وبتفتيشك وجدنا الورقة التالتة... إنت متهم بغواية بنات قُصّر.

يرد في استهتار : دول الحريم بتوعي... أي واحدة في دول أول ما تشوف العربية وأشاور لها تيجي جري... أنا ماغصبتش واحدة على حاجة هما إلى عاوزين يا بيه... دي بنات سهلة ومش متربية.

يكمل : يعني مثلاً (عبير) لو أخدتها أي مكان عمرها ما تقولي روَّحني، عندها استعداد تروح معايا أخر الدنيا اللي دلوقتي هارية نفسها لطم على وشها وبُكى.

ويسأله الضابط: بنت مين (هناء) دي؟. هنطلع لها ضبط وإحضار.

يرد : دي بقى لو عرفت مين أبوها مش هتقدر تجبها هنا... هات أقولك في ودنك يا باشا... لأن أبوها لو عرف هتبقى وقعة مهببة...

وعندما يعرف الضابط اسم أبيها يقول: يا ابن الكلب دا إنت نهارك أسود ومهبب عليك وعلى أهلك وبلدك كلها...

يزعق الضابط على العسكري : خده وارميه في الحبس عشان يتعرض على النيابه بكرة هو و(حودة السمكري) والأسطى (محمد) و(سيد ترمس).

ترد(عفاف) : والبنات دي هيحصل معاها إيه؟

يرد الضابط : خدي بنتك واتفضلي... أما (عبير) و(سنية) هيستنوا للعرض على النيابه بكرة... والدكتور يحضر النيابة بكرة الساعة تسعة الصبح، وحضرتك وبنتك معاكي.

يرد الأستاذ (رفعت) : ممكن آخد (سنية) وأجيبها بكرة؟

يرد الضابط : لا لازم تبات لبكرة وتتعرض على الطبيب الشرعي ودوشة كبيرة.

فتقول (عبير) : سبني أروَّح النهاردة، وآجي بكرة الصبح بدري، الله يخليك.

فلا يرد الضابط عليها.

وتنصرف (عفاف) هي و(ندا) و(الدكتور طه) بعد ما صافحت الضابط وشكرته فرد عليها : ده واجبي... (ندا) خلي بالك من نفسك واختاري أصحابك صح المره دي.. لأن مش كل مرة تسلم الجرة... واشكري ربنا وادعيه يخليلك أمك، لأن اللي عملته علشانك لا يُقدّر بكنوز الدنيا، فكرَّي في كلامى كويس... مع السلامة.

واقترب الدكتور من (ندا) وربت على كتفها وقال : احمدي ربك، لولا أمك العظيمه دي، كان زمانك زي (عبير) و(سنية)... أمك النهاردة ماتت ألف مرة، وهي بتحاول تنقذك، وعشان خاطرها ربنا

رحمك من أمثال (زيكو) و(عبير)، صدقيني يا بنتي، المظاهر مش كل حاجة، وأفتكر إنك أخدتي علقة مش ممكن تنسيها أبدًا، خدي أمك مثل وقدوة عشان تكوني زيها في يوم من الأيام، دي تحملت كل اللي حصلها من غير ما تزعج باباكي أو أخوكي أو أختك عشان ترفعي راسك وماتوطيهاش أبدًا قدامهم، خليكي حَذِرة وفكَّري مليون مرة قبل ما تتصرفي أي تصرف.

ترتمي (ندا) في أحضان أمها وتقبِّلها وتقول : سامحيني يا أمي، سامحيني، وهاكون طوع ليكي طول العمر وخديه عهد عليا، وأنا آسفة مليون مرة، وربنا يخليكي لينا يا رب.

تمد (عفاف) يدها لتصافح الدكتور : أشكرك على وقفتك جنبي في أصعب يوم في حياتي، جمعنا القدر النهاردة عشان تكون أخ غالي جدًا جدًا ليا، ولو كنت استعنت بمليون أخ ماكانش وقف جنبي زي وقفتك، ربنا يديك الصحة.

يرد الدكتور : أشكر القدر على أغلى أخت رزقني بها ربنا، إنتي ست بمليون راجل، أتمنى أشوفك على خير دايمًا...

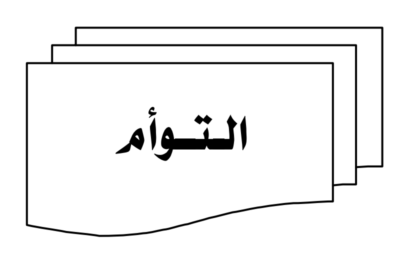
وتركب (عفاف) سيارتها، وقبل ما تتحرك بها يصيح الدكتور : (عفاف) ماتنسيش تيجي النيابة بكرة الساعة تسعة...

تنظر (عفاف) في الساعة، فتجدها السادسة مساءً موعد عودة زوجها (كمال) من عمله، فتسرع حتى تصل إلى البيت فتدير المفتاح، وتفتح الباب، تجد زوجها (كمال) أمامها ويفتح لها ذراعيه

ليحتضنها هي وابنته (ندا) حبيبة قلبه، ويقول : حمد لله على سلامتكم، عندي ليكو مفاجأة، جبت لكم غدا جاهز...

وتجري (علياء) تحضر الأطباق و(رامي) يساعدها... ويجلس الجميع على المائدة يتناولون الطعام في فرح وسعادة.

• • •



المشهد الأول... في منزل الأستاذ (سليمان)، وهو طويل القامة، خمري اللون، أصلع الرأس، ذو شارب كثيف، يكسو وجهه ملامح الطيبة، ويُعرف وسط جيرانه بالطيبة وحُسن الخلق، وهو تاجر أقمشة، ولديه متجر صغير في الحي الذي يقطن فيه، نصيبه من إرث أبيه، بعد أن وزَّع الأنصبة على إخوته، بعد وفاة أبيه وأمه في حادث سيارة عند عودتهم من المصيف...

الأستاذ (سليمان) متزوج من (حورية)، وهي اسم على مسمى في جمالها، الذي كانت تتميز به عن قريناتها من بنات الحي الذي تقطن فيه، وكانت جارة (سليمان) في السكن، ونشأت بينهما قصة حب منذ الصبا، وتُوج هذا الحب بالزواج...

(حورية) بيضاء البشرة، ممشوقة القوام، شعرها بُني كثيف وطويل، عينان عسليتان، بشوشة الوجه، ذات أخلاق حميدة، يحبها الجميع...

يجلس الأستاذ (سليمان) على الأريكة في الصالة، يقرأ القرآن الكريم ليتخلص من توتره وقلقه على زوجته، وهي تنجب له لأول مرة... وبجانبه يجلس المعلم (عبده) والد (حورية) يدعو لها كلما

سمعها تتألم، وهو رجل تعدى الستين من عمره، ولكنه صلب البنيان، ويرتدي جلبابًا بلديًّا بسيطًا، ولديه مطعم فول وفلافل في نفس الحي، وله كلمة مسموعة في أهل الحي الشعبي، ويحترمه الصغير والكبير، ويهابون غضبه...

يقول المعلم (عبده) : ما تقلقش يا (سليمان) يا ابني، إن شاء الله هتكون بخير...

فيجيبه (سليمان): اللهم آمين هي والمولود يا رب...

تخرج من الغرفة التي تلد فيها (حورية) أمها وهي تزغرد: ألف مبروك يا (سليمان)، (حورية) أنجبت لك ولدين توأم زي القمر...

يهلل عم (عبده): الله أكبر يتربوا في عزك يا ابنى...

(سليمان): أحمدك يا رب، (ويسجد لله شكرًا) وهي أخبارها إيه؟...

أم (حورية): الحمد لله، هي والولدين الله أكبر...

وتخرج من الغرفة الداية، التي ساعدت (حورية) في الولادة: ألف مبروك يا بيه، وتزغرد...

وتملأ الزغاريد المكان، وتمتد إلى الحي كله، ويحضر الأهل والجيران للمباركة...

وتمر الشهور، والعائلة الصغيرة تعيش في سعادة مع الرضيعين، (محمد) و(أحمد) اللذين ملآ عليهما حياتهما، مع مباركة الأهل والجيران...

وكانت فرحة الأستاذ (سليمان) كبيرة، لأن طفليه غير متماثلين، وكل منهما له ملامح مختلفة عن الآخر، فكان (أحمد) كثير

الحركة، أبيض البشرة، وعيناه عسليتان مثل أمه، ولديه حسنة في خده اليمين... أمَّا (محمد) فقليل الحركة، وخمري البشرة، وعيناه سوداء، وأيضًا لديه حسنة؛ لكن في خده الشمال...

مرَّت السنين، وكبر الصغيران في المراحل التعليمية المختلفة، وبدأت نواحي الاختلاف تظهر في طباعهما، (محمد) كان أكثر عطفًا على والديه وعلى أصدقائهما في المدرسة والحي... أما (أحمد) كان أكثر شراسة، ويشعر بمتعة في إيذاء الغير، عندما يلعبان مع أقرانهما من الجيران؛ كان يشاغب ويفتعل المشاكل معهم أثناء اللعب، فكان الصبية يرفضون اللعب معه: مش هنلعب معاك تاني، عشان بتضايقنا...

فيرد (محمد) لتطييب خاطرهم: أخر مرة يعمل كدا، سامحوه...

فيرد (أحمد) على أخيه في غضب: سيبهم يا (محمد) يلعبوا لوحدهم وإحنا نلعب لوحدنا، الكرة ملكنا، ومش عايزين حد يلعب معانا...

يسمع خلافاتهم الأستاذ (سليمان) فيحاول تهدئة الموقف: متزعلوش يا أولاد من بعض، إنتوا إخوات، يلا العبوا في هدوء...

ويميل على (أحمد): العب مع إخواتك بدون مشاكل، وإلا هازعل منك، ومش هسمح لك باللعب مرة تانية معاهم، دول جيراننا، والرسول عليه الصلاة والسلام وصَّانا بالمعاملة الحسنة لجيراننا، مش عايزك تزعلهم تاني...

وكان أبواهما (حورية) و(سليمان) يعتذران عن الأذى الذي يتسبب فيه (أحمد) دائمًا...

فيسأل (سليمان) (حورية) : إحنا قصَّرنا في تربية (أحمد) فاختلفت طباعه عن أخيه (محمد)؟؟؟

ترد (حورية) : أبدًا، ماقصرناش في التربية، إحنا ماميزناش (محمد) عن (أحمد) عشان يحصل كده...

يحضر (سليمان) ابنه (أحمد) ويسأله : ليه بتعمل مشاكل مع أصحابك في الحي؟؟؟

يجيب (أحمد) : أبدًا، أنا معملتش حاجة، هما اللي بيتخانقوا معايا، حتى اسأل (محمد) أخويا...

لكن (سليمان) كان متأكدًا أن (أحمد) هو الذي يفتعل المشاكل مع الغير، ولذلك كان حزنه يزداد يومًا عن يوم...

وفي يوم، وجد الأستاذ (سليمان) اتصالاً من مدرسة أولاده، ترجوه الحضور لدي المدير، لأمر هام يتعلق بابنه (أحمد).. أغلق الهاتف، وأسرع بالذهاب إلى المدرسة، لاستطلاع الأمر المهم...

استقبله المدير وهو حزين وقال : آسف جدًا، ابنك أحمد اتخانق مع زملائه في أثناء الحصة، ووجدنا في حقيبته بعد تفتيشها هذا...

صعق الأستاذ (سليمان) مما رآه... مطواة وثلاث سيجارات !!!!

قال المدير : تماسك من فضلك، يا أستاذ (سليمان) إنت عارف كويس إن الولد بيعمل مشاكل كتير مع زملائه، ومش زي أخوه محمد مطيع ومهذب، وأصحابه ومدرسيه بيحبوه... رغم إنهما في المرحلة الإعدادية، لكن تحصيله الدراسى سيئ بناءً على رأي مدرسيه، أرجو إنك تاخذ الموقف بحكمتك المعهودة، وتحاول إصلاحه...

وطلب له كوبًا من الليمون حتى يهدأ، قبل أن يستدعي له (أحمد)... وبعد أن تمالك الأستاذ (سليمان) نفسه، طلب منه أن يرى ولده، حتى يستفسر منه لماذا وصل به الحال إلى ذلك؟؟؟...

حضر الساعي إلى غرفة المدير: مالقتهوش في المدرسة، هرب مع بعض زمايله المشاغبين!!!...

ردَّ مدير المدرسة: ماتقلقش، لما ترجع البيت، خليك هادي وحاول تتكلم معاه، ومن ناحيتي سأتخذ الإجراءات بفصله أسبوع...

شكره الأستاذ (سليمان) وانصرف إلى بيته، وهو في أشد حالات الحزن مما حدث، وما وصل إليه ابنه (أحمد)، وفكَّر في زوجته (حورية) كيف سيخبرها بأمر ابنها ؟؟؟

وعند عودته إلى الحي وجد والد (حورية) في استقباله يبكي ويردد: (أحمد) اختفى... اختفى !!!

رد الأستاذ (سليمان) مذعورا: بتقول إيه... إزاي؟؟؟

(عم عبده) : اللي حصل إن (أحمد) حضر من المدرسة، وشفته وناديت عليه، لكن ماالتفتليش، وأخد في وشه وجري على البيت، فرحت وراه، وعقبال ما وصلت وطلعت البيت، لقيته شايل في إيديه شنطة وأمه تنادي عليه: ارجع يا (أحمد)، لكن ماسمعش كلامها، وأنا حاولت أمسكه، لكن زقني، ولولا بنتي (حورية) كنت وقعت على الأرض !!!

وأخذ عم (عبده) يبكي، وجلس على الأرض من كثرة حزنه، وجلس بجانبه الأستاذ (سليمان)، وهو الآخر لا يجد شيئًا يفعله إلا

الاستغفار... وتجمَّع أهل الحي يواسون الرجلين، رغم أن كل واحد فيهم لديه إصابة أو أذى من (أحمد)، منهم من كسر له زجاج محله بالطوب، والآخر ضرب له ابنه، والآخر حطَّم له زجاج السيارة الخاصة به.. لكنهم يحترمون الأستاذ (سليمان)، وكلٌّ منهم يردد : ولا يهمك هندور معاك في كل مكان، ودي شقاوة شباب، وبُكرة يرجع، وينصلح حاله، ما تزعلش نفسك...

وأمسك الأستاذ (سليمان) بعم (عبده)، وذهب إلى البيت ليطمئن على زوجته، فوجدها تبكي بحرقة، وبجانبها أمها ونساء الحي يهدئنَّ من روعها...

انتظر الأب حضور ابنه (محمد) من المدرسة وسأله : إنت كنت تعرف علاقة أخوك بالمشاغبين دول في المدرسة؟

أجاب (محمد) في خجل : كنت بأحذره، وبأحاول أخوّفه بإني هاأقولك اللي بيعمله، لكن كان بيضربني ويحذرني، لو قلت لك سيترك البيت وماحدش هيعرف عنه حاجة !!!

الأب : ده يا بني بيشرب السجاير المحشية ومعاه مطواة !!!

الابن : أيوه أعرف وكل ما أخبيهم منه بيشتري غيرهم !!!

الأب : تعرف مكانه فين؟ تعرف المكان اللي بيتقابلوا فيه؟؟؟

الابن :لأ ماأعرفش!!! حاولت كذا مرة إني أعرف، لكن ماعرفتش أوصل لحاجة...

أذَّن أذان العصر، فذهب الأب وابنه للصلاة، ولحقت بهم الأم (حورية) وأبوها (عم عبده)... وبعد الصلاة أخذوا يرددون الدعاء بالهداية وصلاح الأحوال...

واستأذن الأستاذ (سليمان) الموجودين في تبديل ملابسه، وعندما فتح دولاب الملابس، وجد ملابسه مبعثرة وشنطة الفلوس التي يعتمد عليها في شراء البضائع لمحله اختفت!!!... صُعق ولم يتمالك نفسه من هول الموقف، وشعر أن الدنيا تدور به، وارتمى على أول كرسي بالغرفة وأخذ يستغفر وهو يبكي...

وبعد فترة، قرَّر أن يبدِّل ملابسه، ويبدأ البحث عنه في كل مكان، وعندما خرج من الغرفة، وجد (عم عبده) يهم بالذهاب معه...
فأجابه : هأدور أنا ورجالة الحي، كل واحد منا في مكان، وخليك إنت هنا يمكن يرجع، تحبسه في أي أوضة لغاية لما أرجع...
وجد (عم عبده) أن مهمته لا تقل أهمية عن الآخرين، وبدأ يراقب مداخل ومخارج الحي، هو والصبية...
وقسَّم الأستاذ (سليمان) الرجال في جميع الأماكن المتوقع وجوده فيها، وقرَّر أن يذهب هو لوحده إلى أماكن مختلفة عنهم، وهي أماكن المدمنين والغُرز الموجودة في أنحاء مختلفة، وهو حزين على ابنه الذي اضطره لدخول أماكن لم يخطر على باله أن يدخلها في يوم من الأيام، وعلى يد مَنْ؟.. ابنه الذي هو أغلى شيء لديه في الوجود...

ومرَّت الأيام والرجال يواصلون البحث من أول اليوم حتى أخره، ويعودون بدون فائدة... حتى يئس الجميع من العثور عليه...
وتمر الأيام، والأستاذ (سليمان) وزوجته يزيد عليهما الحزن يومًا بعد يوم.

وتمر السنين... وينجح (محمد)، ويحصل على المجموع الذي يؤهله لكلية الطب، وفرح الأستاذ (سليمان) هو وزوجته، وأهل الحي به هو ورفاقه...

ورغم مرور السنين، إلا أن الأب لم يفقد الأمل في العثور على ولده الهارب، ويتابع أخبار القبض على أرباب السوابق والجرائم، ويسرع لمعرفة أسمائهم، وعندما لا يجد اسم ابنه (أحمد) يستريح قليلاً، ويدعو الله أن يراه قبل وفاته ويطمئن عليه، وألا يراه بين المسجلين الخطيرين في يوم من الأيام...

ويتخصص (محمد) في علاج الإدمان، ويقرِّر أبوه أن يزوِّجه، فيختار (محمد) جارته طبيبة أطفال...

ونسي جميع من في الحي أمر (أحمد) الهارب واعتبروه فُقد وعوض الله الأستاذ (سليمان) بوجود ابنه (محمد)، إلا أن أباه وأمه و(محمد) لم ينسوه لحظة واحدة...

وفاجأت الأم آلامٌ مبرحة لم تتحملها من كثرة الحزن، وتُوفيت... وحزن عليها زوجها وابنها وجميع من في الحي...

وقرَّر (محمد) أن يُسَّمي أول طفل له (أحمد)... أما أبوه فمرض من كثرة الهمِّ والحزن، ولزم الفراش بعد فراق زوجته (حورية)، وكان (محمد) يلازم أبيه في مرضه، حتى فؤجئ بطرق على باب المنزل، فتح الباب (أحمد) الصغير، فوجد شابًا يرتدي بدلة أنيقة!!!
وسأله الصغير: إنت مين ياعمو؟
فأجابه الشاب الأنيق: أنا عمو (أحمد) يا حبيبي...

...

تفاجأ (محمد) برؤية أخيه، وأخذه في أحضانه وهو يبكي من شدة الفرح: يا حبيبي يا خويا، الحمد لله إنك رجعت لنا بالسلامة، دا بابا هيفرح بك جدًا، تعالى بسرعة سلِّم عليه...

ودخل التوأم (محمد) وأخوه (أحمد)، وجلسا بجانب أبيه، وهو يحتضنهما ويحمد الله أن ردَّ له ابنه، ورآه بخير أمامه مرة ثانية، وسأله أبوه: الحمد لله إني شفتك تاني قبل ما أموت، احكى لي يا بني عن حياتك من يوم ما تركتنا وذهبت...

ردَّ (أحمد): أنا آسف للي سببته لك من قلق وحزن، وأحلف لك إني ماشفتش السعادة طوال الفترة اللي سبتكم فيها، لكن بنيت نفسي بنفسي، وعندي فلوس كتير أعوضكم عن الأيام اللي فاتت، وتعالوا معي في الفيلا بتاعتي اللي اشترتها أول ما نزلت مصر، وسيبوا الحي وعيشوا معايا، الفيلا كبيرة وعندي أشغال كتير...

أجابه أبوه: إنت بتشتغل إيه يا ابني طمني، والفلوس الكتير دي جبتها منين، وبنيت نفسك إزاي، وكنت فين أصلاً ؟؟؟

ردَّ (أحمد) : بعد ما سيبتكم سافرت إلى بلاد برة واشتغلت كل حاجة لحد ما تعرفت على واحد مصري بيشتغل في الاستيراد والتصدير، وشغّلني معاه، وبقيت إيده اليمين، وكبرت معه، وأصبحت غني، فرجعت مصر وعملت شغل لوحدي هنا... ماتشغلش بالك فلوسي حلال، يلا وهتعرف كل حاجة بعدين، المهم دلوقتي تيجوا معايا إنت، و(محمد) وزوجته وابنه، أنا مرتب لكم كل حاجة، كان نفسي تكون أمي معانا لكن الله يرحمها... وبكى وارتمى في حضن أبيه...

لكن الأستاذ (سليمان) لم يشعر بالراحة من قصة ابنه التي قصَّها عليهم... لكن فضَّل أن يترك الأيام القادمة تُظهر الحقيقة...
وقال له : لا تتعب نفسك بنا، اذهب إلى عملك، وتعالى اقعد معانا، البيت فيه رائحة المرحومة أمك، وذكرياتنا الحلوة فيه، وكمان مكانك موجود...

وقبل أن يعترض (أحمد) على الكلام، أشار له أخوه (محمد) بالسكوت، حتى لا يُرهق أباه المريض وقال (محمد) : تعالى نخرج ونسيب بابا يستريح وينام...
فوافق (أحمد) وخرج مع (محمد) إلى الصالة، ووجد (أحمد) الصغير وأخذه في حضنه، وجلسا يتبادلان الأحاديث عن الذكريات ويقصَّا بعض الطرائف التي كانا يتعرضان لها في طفولتهما، أمام زوجة (محمد)... واستأذن، وقبل أن ينصرف سأله (محمد) : إنت ساكن فين؟... أجيلك نكمل كلامنا...

فرح (أحمد) بالفكرة وأعطاه العنوان واتفق على موعد وانصرف...

وشعر (محمد) بنفس القلق الذي أصاب أبيه نحو أخيه (أحمد)، وقرَّر أن يقطع الشك باليقين، ويذهب إلى أخيه، في محل سكنه ليستدل على الحقيقة !!!

وعندما وصل إلى العنوان، وجد على باب الفيلا أكثر من عشرة رجال طولهم مثل عرضهم؛ أقوياء البنيان ذوي وجوه صارمة، يرتدون البدل السوداء، وفي أيديهم أسلحة، ويقفون في وضع الاستعداد للهجوم في أي لحظة...

وسألوه عن بياناته الشخصية، وتحدَّث أحدهم عَبْر لاسلكي في يده، وبعدها فتح له الباب، واصطحبه واحدٌ من الرجال العشرة قليلاً حتى سلمه لرجل آخر لا يتخير عنهم، وكأنهم نسخة مكررة، ومرَّ بنظرة يستعرض حديقة الفيلا، وجد النسخة المكررة من الرجال في كل شبر، ورفع رأسه إلى أعلى، وجدهم أعلى سطح الفيلا...

فسأل الرجل الذي برفقته: هو فيه إيه، ليه واقفين كده؟.

لم يجبه ولم يلتفت له كأنه لم يسمع سؤاله...

وعندما انتهى الممر ووصل إلى باب الفيلا، وجد أخاه (أحمد) في استقباله: أهلاً وسهلاً بأخي الغالي...

وأشار له بالدخول.. فدخلا الفيلا وكان بالداخل رجال عددهم يقارب عدد الماثلين في الخارج، فسأل أخاه قائلاً: إيه يا ابني كل الرجال دول بيعملوا إيه عندك؟

ضحك (أحمد) وربت على كتفه وقال: دول حراسة.

(محمد) متعجبًا: كل دول؟!... وليه تحتاج حراسة أصلاً؟ هو انت بتشتغل إيه؟!!

أجابه ضاحكًا وفي سخرية: رجل أعمال، مش كل رجل أعمال له أعداء، وأنا رجل ناجح فجبت كل اللي إنت شايفهم دول يحرسوني، تحب تاخذ لك اثنين على باب العيادة؟...

وزاد من السخرية وقال: علشان يجيبولك المدمنين من قفاهم هههههههه، إنت بتقفل علينا ليه، ما تسيب الناس تنبسط مش أحسن ما يمشوا مهمومين ومنكدين، هههههههه...

فأجابه (محمد) وهو يصرخ: يعني إنت بتشتغل في المخدرات؟ !!!

فرد بسخرية أكثر: إنت لسه زي ما إنت، طيب وعلى نياتك... أوعى تكون صدَّقت كلامي امبارح، ده أنا أزعل أوي، أمال دكتور إزاي، ده كلام قلته علشان أبوك بس...

ردَّ (محمد) وهو حزين: أنا شكيت فيك، ولعلمك بابا كمان مارتحش لكلامك بدليل إنه رفض ييجي معاك...

ردَّ (أحمد) منزعجًا: أوعى تقوله، أزعل منك بجد...

(محمد): ده كان يموت فيها إنت عارف قلبه تعبان ومش مستحمل، لكن ليه ضيعت نفسك كده؟

يرد (أحمد) في سخرية: يا ابني كل النجاح اللي وصلت له بص حواليك، وتقول عليا إني ضايع...

يرد (محمد): الفلوس مش كل حاجة، وإنت زي ما إنت بتأذي خلق الله، حرام عليك، تفتكر ربنا هيسيبك، وكل الرجال اللي حواليك مش هينفعوك...

يرد (أحمد) في انزعاج: هو إنت جاي تعكنن عليا بعد السنين دي كلها اللي غبتها، يا ريتني ما رجعت كنت عايش مرتاح...

فيقول (محمد): عمرك ما هتشعر بالراحة، سيب كل حاجة، وتعالى نرجع مع بعض عند بابا، وابتدي من جديد في محل أبوك...
فيرد (أحمد): إنت بتقول إيه؟ مش ممكن أبدًا، دا الموت أحسن من اللي بتقوله لي...

لم يجد (محمد) كلامًا يقوله لأخيه، فاستأذن وانصرف...

وقبل أن يصل لأخر الشارع الذي يقطن فيه أخوه (أحمد)، رأى عربات الشرطة وهي تتجه نحو فيلا أخيه وتحاصرها، فاندفع يجري نحوها، وقبل أن يصل إلى الفيلا، سمع طلقات النار، وحاول أن يدخل الفيلا لكن الشرطة منعته من الدخول وأخذ يصرخ: أخي (أحمد)... (أحمد) رد عليا...
وجاءت عربة الاسعاف ودخلت الفيلا والمسعفين يحملون المصابين فيندفع فيجد (أحمد) بين المصابين، فيركب معهم ويعرِّفهم بنفسه، ليرافق أخيه إلى المستشفى...

وهو في الطريق، همس (أحمد) لأخيه: سامحنى يا أخي واطلب من أبي أن يستغفر لي ويسامحنى، والله بحبكم أوي...
وكانت هذه الكلمات أخر ما نطق بها (أحمد) قبل أن يتوفى...

انهار (محمد) وأخذ يبكي فراق أخيه الوحيد، وذهب يودعه إلى مثواه الأخير...

وعندما وصل إلى المنزل، وجد أباه يصلي، فجلس بجانبه وحضنه وهو يبكي وطلب منه أن يسامح (أحمد) ويستغفر له...

فسأله أبوه مذعورًا : هو فين (أحمد)؟

ردَّ (محمد) وهو يبكي : سافر تاني... ادعيله وسامحه لأنه سافر فجأة...

فأجابه أبوه : ليه مجاش يسلم عليا؟

ردَّ (محمد) : سامحه يا أبي، أصله سافر فجأة وكان مستعجل، وبعدين اشكر ربك إنك شفته وحضنته، زي ما كنت بتدعي ربك، الحمد لله ربنا يسامحه...

فقال الأب : يا رب سامحه واغفر له...

وبكى وحضنه (محمد)، ونادى على (أحمد) ابنه، وطلب منه أن يقبِّل يد جده.

• • •



في وقت الظهيرة، كانت تُصلي (منى) صلاة الظهر في غرفة متواضعة، مكونة من سريرين ودولاب بدون درف وسترة ملاءة وحصيرة على الأرض، وبجانب السرير شباك صغير يطل على ترعة القرية، و(منى) حاصلة على دبلوم متوسط ولم يتح لها تكملة تعليمها لضيق ذات اليد، وهي تتميز بجمال الخِلقة والخُلق عن أقرانها، بيضاء البشرة، متوسطة الطول، شعر أسود يغطي أكتافها وذات عينين واسعتين، وترتدي الحجاب... وتشاركها في الغرفة أختها (ندى) صبية في العاشرة من عمرها، لها شعرٌ ذهبيٌّ، وبيضاء البشرة، وعينين عسليتين، وبمجرد أن تنتهي من أداء الواجبات المدرسية، حتى تسرع إلى اللعب مع أقرانها أمام المنزل.

عائلة (منى) مكونة من شقيقين أكبر منها : (أحمد) الشقيق الأكبر متزوج في المدينة، التي تبعد عن القرية مسافة ساعة بالسيارة على الطريق السريع، ويعمل في شركة الورق، ويحضر كل أسبوع لزيارتهم، هو وزوجته وابنه (محمد) الذي سمَّاه على اسم والده...

أمَّا الأخ الثانى فهو (رياض) لم يتعلم، ويساعد أبيه في زراعة الأرض، وخاطب ابنة عمه (تهاني)، التي لم تتعلم هي الأخرى،

وهي بدينة، متوسطة الطول، خمرية البشرة، رفيقة (منى) في العمر...

أما أمهم فهي السيدة الكادحة التي تبدأ يومها من الفجر، تعجن وتخبز وتطبخ، وتحلب اللبن من الماشية، مثل جميع نساء القرية، لا تكل ولا تمل، وتتجمع الأسرة عند غروب الشمس عند عودة الأب والأخ، وهما محملين بخيرات ما زرعوه من خضروات أو فاكهة، ويتناولون الطعام، وبعد الانتهاء من الطعام يتسامرون حتى صلاة العشاء...

ويأوي الأبوان إلى النوم، ويستمع أخوها (رياض) للراديو الصغير حتى يخلد إلى النوم، وتأخذ (منى) أختها (ندى) وتساعدها على النوم، وبعدها تقيم الصلاة، وتقرأ القرآن، وتخلد إلى النوم...

وهكذا يتكرر البرنامج اليومى، حتى يوم زفاف أخيها (رياض) فيحضر أخوها (أحمد) هو وزوجته وابنه، ومعه بعض الأصدقاء من العمل، ويستعد الجميع للاحتفال، ويجهز الجزء الخاص بالعروسين في نفس الدار، ويقام صوان كبير للرجال والنساء داخل الدار... ومن ضمن أصدقاء (أحمد)، يحضر معه شاب أسمر طويل نحيف خفيف شعر الرأس، اسمه (صلاح)... لمح (منى) من بعيد وهي تقدِّم الشربات وتستقبل النساء وترحب بهم، وسأل (أحمد) عنها فأجابه أنها أخته (منى)...
وانتهى العُرس وذهب كلٌّ إلى حاله...

وفي هذه الليلة، انتاب (منى) إحساس أنها تتمنى أن تكون عروسًا، وترتدي الفستان الأبيض، حتى خلدت إلى النوم... وفي الصباح انشغلت في مساعدة أمها في أعمال البيت والاهتمام بالعروسين.

وبعد يومين، حضر أخوها (أحمد) يشاورها إن كانت تقبل الزواج من صديقه (صلاح)...

فسأله أبوه عم (محمد) : هو العريس ده شاف أختك؟ وهو بيشتغل إيه؟ وابن مين؟ والأسئلة المعتادة في هذه الاحوال.

أجاب (أحمد) : ده صاحبي وحضر فرح (رياض) وبيشتغل معايا في الشركة، وأبوه تاجر قماش، معروف بسمعته الطيبة في البلد، وكمان عزمني في بيتهم كتير، ووالدته ست طيبة أوي، ولا يتخيرون عنك إنت وأمي، يا (أبو أحمد) ده لما فاتحني في الزواج من أختي فرحت جدًا، ولم أنتظر ليوم الجمعة، وحضرت أشورك وأخذ رأيك إنت و(منى).. ولو وافقت، يحضروا يوم الجمعة القادمة هو وأهله...

فكَّر عم (محمد) قليلاً ونظر إلى ابنته وقال : إيه رأيك يا (منى) تفكّري ولا إيه؟؟؟

ردَّت (منى) : ممكن أصلي استخارة وأرد عليكم...

فرد عم (محمد) : الله يبارك فيكى يا بنتي الحبيبة، هو إنتي شفتيه في الفرح؟

ردَّت (منى) في كسوف : لا، ما أخدتش بالى.

احترم (أحمد) وأبوه عم (محمد) رغبة (منى) في التفكير واستخارة ربها...

وذهبت (منى) إلى الصلاة وقراءة القرآن، وشاركتها في التفكير ابنة عمها، وزوجة أخيها (تهاني) وأخذت تحفزها على قبول العريس... حتى ذهبت بعد يومين إلى أبيها وأخبرته بأنها موافقة تتزوج من صاحب أخيها...

وحُدِّد الموعد الذي يحضر فيه (صلاح) مع أهله لخطبة (منى)... وحضروا ومعهم الشبكة... وخرجت (منى) بالشربات لتقدمه لأهل العريس وأعجبوا جميعًا بها، وحددوا موعد الزفاف بعد أسبوع لأن شقتهم لا ينقصها إلا حضور العروس...

وفي اليوم التالي حضرت أم العريس ومعها الفستان الأبيض للعروس، ومعها النشان (وهذا يعتبر ملابس العروسة وكل ما يلزم العروسة) وقالوا إنهم سوف يقيمون صوانًا كبيرًا، يعزمون كل أكابر المدينة...

وبدأت الأم الطيبة في تجهيز ابنتها، من مخبوزات الفرح ليليق بابنتها وعريسها، وأوصت ابنتها : أوصيكِ يا ابنتي بأن تطيعي زوجك، ولا يرى منكِ إلا كل طيب، ولا يشم منكِ إلا الرائحة الطيبة، ولا تخالفيه إلا في شيء يعصي الله، وعاملي حماكي وحماتك كأنهما أبوكِ وأمكِ، ولا ترفعي صوتك في وجودهما، وقدِّمي لهما فروض الطاعة ولا تغضبيهما مهما حدث، فهما يريدان لكِ الخير، ولا تمنعي زوجك عنهما، لأن رضاهما من رضى رب

العباد... وأنا عارفة ومتأكدة إنك بنتي الطيبة الخجولة التي تراعي الله في كل تصرفاتها... ربنا يسعدك العمر كله...

وأقيم فرح يُحكى عنه، حضره أكابر المدينة من تُجَّار وأصحاب العريس وأهل العروس وكل رفيقاتها من القرية...

وانتهى الفرح، ودخل العروسان إلى منزلهما الذي يعلو منزل أبيه، فطلبت (منى) من (صلاح) أن يصلي بها ركعتين لدخول البركة حياتهما، فلبَّى طلبها وصلى بها ركعتين، وبدآ حياتهما في هدوء...

وفي الصباحية، حضرت أمها وأقارب العروس، ومعهم طعام الصباحية ،وفتحت لهم أم العريس وأخذت منهم طعام العروسين، وقسمته، وأعطتهما جزءًا منه، وأخذت باقي الطعام...

وقرَّر العريس السفر لقضاء شهر العسل، وذهبا للسلام على أمه وأبيه، فانفردت (أم صلاح) بابنها توصيه: اسمع يا بني، إياك أن تفرط في تدليلها، وإلا ستعتاد على ذلك، ولن يمكنك السيطرة عليها، ولا تصرف عليها أموالاً كثيرة، إذا طلبت شيئًا بعشرة احضر لها شيئًا بجنيه، وإذا طلبت تتغدى احضر لها ساندوتشًا صغيرًا...
فأومأ (صلاح) يطمئن أمه بأنه فهم ما تعنيه...

وسافر العروسان وهو في قرارة نفسه، بأنه لن يتصرف مع (منى) إلا بما يمليه عليه قلبه، لأنه أحبها... وفي الحقيقة فإن (منى) كانت من البنات الخجولات التي لا تطلب شيئًا من أحد... ومن خلال معاشرته لها اكتشف أنه تزوج من ملاك...

وقضى العروسان أجمل أيام عمرهما، وأيقنت (منى) أنها تحب زوجها الحب الذي قرأت عنه في الروايات الرومانسية، وكانت (أم صلاح) لا تتوانى على تذكير ابنها بالوصايا التي أوصته بها قبل سفره، كلما سمعت صوته عبر الهاتف، وتلح عليه بالعودة، لأنه وحشها ولا تطيق فراقه...

وأخيرًا عاد العروسان إلى منزلهما ووجدا (أم صلاح) تنتظرهما على الباب وتوبخهما على التأخير وتقول : هو ده اللي وصيتك عليه؟ وليه يا ابني خاسس كده هي كانت بتاكل أكلك؟ !!!
و(صلاح) يقبِّل يدها ويضحك، و(منى) تقف تنتظر دورها لتسلِّم عليها، لكن لا تعطيها فرصة... وتذهب (منى) إلى بيتها وتترك (صلاح) يراضي أمه...
ويلحقها (صلاح) إلى البيت، ويتعامل كأن شيئًا لم يحدث، ويطلب منها أن تغيِّر ملابسها، وتذهب لتحضير الطعام مع (أم عبده) المربية والخادمة التي تعمل لديهم من أكثر من عشرين سنة، فهي مقيمة معهم من بعد ما توفى زوجها، وأعطت ابنها الوحيد البيت الذي لديها ليتزوج فيه، وبقيت معهم تنام في المطبخ، حتى انحنى ظهرها لكبر سنها...
وبالفعل تذهب (منى) لتحضير الطعام مع (أم عبده) والرضا يملأ نفسها، والسماحة تكسو وجهها...

وبدأت (منى) في تحضير طعام الغداء مع (أم عبده)، وهي سعيدة وترطِّب لسانها بالاستغفار، فلفتت نظر (أم عبده) وسألتها : ماذا تقولين في سرك؟

فأجابتها (منى) بابتسامة رقيقة : أردد الاستغفار، حتى يبارك لنا رب العالمين...

وأثناء انشغال (منى) في تحضير الطعام، وجدت أمامها زوجة الأخ الأكبر لـ(صلاح)، (سعاد) وهي بدينة القوام، صلبة البنيان ذات ملامح شديدة الصرامة، وهي ابنة عمهم، وسلَّمت على (منى) ثم قالت : لم ترحمك حماتك، من أول يوم تعودي فيه من شهر العسل، تدخلك المطبخ!!!
فردَّت عليها (منى) : أحب آكل من عمل إيديا.
ردَّت (أم عبده) : تسلم ايدك يا ست منى، والله يبارك فيكي يا بنتي...
واستدارت إلى (سعاد) وقالت لها : بعد شوية هتتفرجي على أحلى أكل النهاردة، من إيد الست (منى)...
فتركتهما (سعاد) وذهبت إلى منزلها.

وحضر والد (صلاح)، واستقبلته (منى) وسلمت عليه، وقبَّلت يده...
وتجمعوا على المائدة، وكان الطعام شهيًا، ولة رائحة طيبة، ونادى والد (صلاح) على (أم عبده) ليسألها : النهاردة الطعام له أحلى مذاق، يا ترى ليه؟!!
فأجابت (أم عبده) في سعادة : البركة في الست (منى)، كل الطعام من صنع يدها...
خجلت (منى) وفرحت في نفس اللحظة بإشادة الجميع، لكن (أم صلاح) كان على وجهها تعبير آخر، وتنظر بتوعد لـ(أم عبده)!!...

وانسحبت (منى) و(صلاح) إلى منزلهما للراحة بعض الوقت، حتى يستعدا لاستقبال المهنئين بعودتهما... وعندما اختلى (صلاح) بـ(منى) شكرها على أحلى طعام قدمته، وطلب منها : أمي طلبت مني إننا نشاركهم في الطعام كل يوم، لأنهم أعجبوا بما تصنعيه، أظن ليس لديكِ مانع!..

فأجابت : أبدًا، إذا كان هذا يسعدك، ليس لدي مانع أبدًا، الله يبارك في الجماعة...

وعندما حضر المهنئون، استقبلتهم (أم صلاح) وطلبت منهم عدم الدخول عند العروسين، والجلوس عندها، وأرسلت (أم عبده) لـ(صلاح) و(منى) بأن يحضرا إلى بيتها.. وبالفعل حضروا إلى بيت (أم صلاح) فرحبت بهم في سعادة، وكان من ضمن المهنئين الدكتورة (نفين أمراض باطنة)، وزوجها الدكتور (عدنان أمراض جلدية) وكان معهما هدية كبيرة ملفوفة، فأخذتها (أم صلاح) وأدخلتها غرفتها...

ولم تبالِ (منى) بما حدث، ولكن زوجة (أحمد) شقيق (منى) لاحظت استحواذ الحماة على كل هدية، دون أن تطلع (منى) عليها، واقتربت من (منى) وهمست في أذنها : (أم صلاح) بتاخذ كل هدية وتدخلها حجرتها، دون أن تطلعك عليها !!!

فردَّت (منى) بحسن نية: أكيد هتقول لي بعد الضيوف ما يمشوا، لا تشغلي بالك...

وأخذت ترحب بالجميع، حتى بدأوا في الانصراف واحدًا تلو الآخر، وألَّحَت (الدكتورة نفين) على (منى) بأن تحضر لزيارتها في أي وقت، لأنها ارتاحت لها كثيرًا...

وبعد انصراف الجميع، نادت (أم صلاح) على ابنها (صلاح) وأخذته غرفتها وأغلقت الباب عليهما...
فوجدت (منى) أنه من الأفضل لها أن تذهب إلى منزلها، تحضِّر العشاء لزوجها، وتنتظره...

وبعد حوالي ساعة، حضر (صلاح) وهو صامت، فحاولت أن تستفسر منه عن أي شيء أزعجه، لكن دون فائدة، فطلبت منه أن يصلي ركعتين بها قبل النوم، لكنه رفض، وتعلل بأنه متعب، فصلت هي كعادتها وقرأت القرآن ونامت...

وداومت (منى) كل صباح بعد نزول زوجها إلى عمله، تذهب لتحضير الطعام مع (أم عبده)، لكن (أم صلاح) كانت كل مساء تنتظر (صلاح) وتسأله: هتخرج تسهر مع أصحابك؟
فإذا ردَّ بـ"لا"، تطلب منه الحضور عندها، وتجلسه بجانبها، وإذا حضرت معه (منى) تطلب منها أي شيء تشغلها به، أو تأمرها أن تذهب إلى منزلها لعمل شيء فيه، وكانت (منى) تنفذ ما تطلبه منها، حتى يحضر زوجها ترافقه حماتها، وتحضِّر له العشاء، وتجلس الحماة معهما لتناول العشاء، أو تأخذ قدرًا من العشاء، وتترك ما يكفى لشخص واحد فقط؛ هو ابنها، ولا تتركه إلا بعد أن يلتهم نصفه تقريبًا...

وكانت الأم تزيد من تدخلها في حياة (منى)، فإذا دخلت على (منى) وهي تنتظر عودة زوجها في المساء، ووجدتها تتزين؛ تقول لها : لماذا ترتدين هذا؟ ولِمَ كل هذه الزينة؟ حافظي على صحة ابني...
وإذا وجدتها لم تتزين تقول لها : ألا تتزينين لتسري زوجك، وترتدين ملابس مثل النساء التي تريد أن تحافظ على زوجها من الانحراف !!!

وفي يوم تركت الطعام على الموقد، وقالت لـ(أم عبده) : ممكن تخلي بالك يا (أم عبده) يا سُكرة، عقبال ما أذهب لأصلي الظهر في بيتي... فوافقت، وعند دخول بيتها وجدت الباب مفتوحًا، وسمعت صوتًا في غرفة نومها، فدخلت في هدوء واعتقدت أن زوجها حضر من عمله، فوجدت حماتها تفتح دولابها وتفتش فيه، وما أن رأتها حتى ارتبكت وقالت : كنت بأدور على إيشارب ضائع مني، وقلت يمكن أخدتيه بالغلط!!!
فشعرت مني بالضيق من حماتها، وتركتها في الغرفة، وذهبت لتتوضئ، وكأن شيئًا لم يحدث، وأنهت الموقف على ذلك.

ورغم ذلك؛ كانت (أم صلاح) دائمًا سببًا من أسباب الحزن للعروسين، إذا تلقوا دعوة لزيارة أحد، تصمِّم أن تخرج معهما، أو توبخ ابنها حتى يرفض الخروج مع زوجته، ويخرج هو لوحده...

فكرَّت (منى) أن تخرج لزيارة (الدكتورة نفين) فسمح لها (صلاح)، وبالفعل ذهبت في يوم إجازة العيادة، ورحَّبت بها الدكتورة، وفتحت (منى) قلبها إلى الدكتورة، وحكت لها تصرفات

حماتها معها... وبعد ما استمعت لها، نصحتها بالصبر والتفكير في تكملة تعليمها، وقررت مساعدتها بأن تحضر لها الكتب المطلوبة للثانوية العامة من أولاد أصدقائها... فرحت (منى) بالفكرة، فقد كانت تتمنى استكمال تعليمها، لكن الظروف المادية كانت المانع...

وهي في طريق العودة إلى منزلها، فكرت أن تحضر هدية تتقرب بها إلى حماتها، وبالفعل دخلت محل ملابس واختارت عباية وزجاجة برفان، ووضعتهما في شنطة هدايا، وقدمتهما إلى حماتها وقبَّلت يدها...

كانت (منى) تبذل كل جهدها لترضي حماتها، لكن دون فائدة، ورغم ذلك لم تيأس...

وفي يوم، بعد ما حضَّرت الطعام كالعادة، ذهبت لتصلي صلاة العصر، وتأخرت في الصلاة، ولم تحضِّر معهم الغداء، وعندما انتهت من الصلاة، كانوا انتهوا ورفعوا الأطباق، ووجدت (أم صلاح) أحضرت طبق الفاكهة لابنها وأعطته لها لتلحق بزوجها... فأخذته ورجعت إلى بيتها، دون أن تتفوة بكلمة... وبعد قليل وجدت (أم عبده) تحضر لها طعامًا، شكرتها ووضعته لتأكله، فسمعت حماتها وهي توبخ وتتوعد (أم عبده) على صنيعها وتقول لها: لماذا تذهبي بالطعام إليها؟ عنها ما أكلت، إنتي أخذتي إذني، لو عملتي كده تاني هاطردك من البيت...

حزنت (منى) حزنًا شديدًا، وانتظرت زوجها يستيقظ، لكي تطلب منه أن تذهب إلى أمها لمدة يومين، فوافق وأشار عليها أن تذهب

مع أخيها (أحمد) يوم الجمعة القادم بعد يومين، فشكرته... وأخذت الطعام وأرجعته إلى (أم عبده) وقالت لها: أشعر بتعب في معدتي!!

وتمنت أن يمر اليومان على خير، وهي على نفس وضعها تسمع منها الأوامر بأصناف الطعام الذي تمليه عليها، وتحضره لهم ولا تأكل منه شيء، وتتعلل بتعب المعدة...

وعندما حاول (صلاح) أن ينادي عليها، نهرته أمه وقالت: ده دلع بنات لا تهتم اجلس وكل انت، لما تجوع الأكل موجود هيروح فين؟؟؟

وفي المساء حضرت الدكتورة ومعها الكتب التي وعدت (منى) بها وطلبت منها الأوراق المطلوبة لتقدم لها قبل موعد الامتحان، فسمع (صلاح) كلام الدكتورة ورحب بالفكرة، ولأول مرة تشعر (منى) بالفرح، وتحمست وأخذت تستذكر دروسها ليل نهار دون أن تقصر في واجباتها نحو زوجها، ولكن حماتها كانت عندما تراها تستذكر دروسها، و(صلاح) يحاول أن يساعدها تغضب وتطلب منه أن يتركها، ويذهب مع أصحابه ليسهر وينبسط، بدلاً من تعبه بدون فائدة مع التلميذة الخائبة!.. فكانت (منى) تحزن من كلام وتصرفات حماتها...

حزن (منى) ليس من (أم صلاح) فقط، ولكن من زوجها أيضًا، الذي يرى ويسمع ولا يتحرك له ساكن، خاصة عندما علمت (منى) أن (أم صلاح) حاولت أن تتصرف بهذا الشكل مع (سعاد) زوجة أخيه، لكن أخوه الأكبر أوقفها ورفض سيطرتها على حياتهما، لكن

سلبية (صلاح) جعلت أمه تتحكم في كل شيء في حياتهما، وزاد حزنها أكثر عندما رجع في وعده لها بزيارة أمها لمدة يومين، أخذت تبكي بحرقة، وتتوسل إليه، فتركها، وذهب إلى أمه يترجاها أن توافق لها على زيارة أهلها يوم واحد وتعود أخر اليوم، فوافقت على مضض، وهي ذاهبة قالت لها : وافقت على ذهابك من كتر إلحاح ابني، إذا خالفتِ أوامري لن تذهبي مرة أخرى...

وطلب (صلاح) من (أحمد) شقيق (منى) أن يأخذها معه، لزيارة أهلها، وعندما رأت (منى) أمها، ارتمت في حضنها وبكت بحرقة، وقصَّت عليها ما حدث معها، وقالت (منى) : أنا للأسف متزوجة من طفل أمه، إنه يهابها كالأطفال، ولا يراعي شعوري وحزني كزوجة مسئولة منه، فأخوه لا يسمح لها أن تتدخل في حياتهم هكذا، وطول الوقت يسخرون مني ومن زوجى لديكتاتوريتها علينا، تخيلي يا أمي أن معها نسخة من مفتاح المنزل تفتح علينا وقتما تشاء، وإذا وجدت الباب مغلقًا من الداخل تخبط بعنف وتوبخنا على غلقه، وكل ساعة تتهمني بتأخر الحمل وتطلب مني أن أكشف، ماذا أفعل يا أمي ؟!!!

هدأتها أمها وقالت لها : تحمَّلي يا ابنتي واصبري، واذهبي مع (تهاني) زوجة أخيكِ إلى الدكتورة التي تتابعها في حملها، يمكن لما تجدك حاملاً تحبك وترضى عنك، هيا يا ابنتي توضأي وصلي ركعتين، واذهبي مع زوجة أخيكِ...

وفعلت (منى) ما طلبته منها أمها، وذهبت إلى الطبيبة في القرية، وبعد الكشف عليها، قالت لها: الحمد لله، ليس لديكِ أي مانع للحمل، وعلى فكرة لا داعي للقلق، ثلاثة أشهر ليس بكثير حتى نقلق، انتظري، وإن شاء الله سوف يحدث حمل عن قريب، أهم شيء الحالة النفسية، واشغلي نفسك بأي شيء آخر، لأن القلق عامل نفسي قوي لمنع حدوث حمل...

شكرتها (منى) وانصرفت، ورجعت إلى أمها سعيدة، فوجدت أمها حضَّرت لها ما لذ وطاب لتحمله معها إلى حماتها...

وكانت لهذه الزيارة الأثر الطيب على (منى)، كوَّنت جبهة من الإنقاذ من (أحمد) أخيها وزوجته، طبقًا لوصية أم (منى) لا يتركانها، ويساندانها في استذكار دروسها، وانضمت لهما الدكتورة (نفين) وزوجها، يمدانها بالملخصات، وشرح المستعصي عليها فهمه... ومع الوقت انضمت لهم (أم عبده) تجهز لـ(منى) مستحضرات الطعام حتى تنتهي من الطعام في أسرع وقت ممكن، وتتجنب غضب حماتها...

وتحسنت حالة (منى) بقرب هذه الجبهة منها... ومع اقتراب الامتحانات، انضمت إلى هذه الجبهة (سعاد)، وكان دورها الوقوف في وجه حماتها، إذا اقتربت من (منى) لتحطِّم حماسها...

وكان (صلاح) في ذلك الوقت من المتفرجين من بعيد، حتى لا يغضب أمه...

وكانت أيام الامتحان متعبة ومرهقة على (منى)، لكنها كانت سعيدة بما وصلت إليه، واعتبرت نفسها في مرحلة جهاد لمستقبل أفضل، ورغم كل الاحتياطات التي أخذتها جبهة الإنقاذ على عاتقها، كانت هذه الحماة ترميها بكلمات مثل طلقات الرصاص، لكن إيمانها بربها كان يزيدها حماسًا... حتى انتهت الامتحانات بسلام.

وبدأت حماتها تعايرها بتأخرها في الحمل، وترميها بالعاقر، فأخبرتها بما قالته الطبيبة، لكنها قالت لها: كيف أثق في كلام طبيبة من قريتكم؟ لا بد أن تذهبي معي إلى طبيبة أعرفها، وأثق في كلامها...

وافقت (منى)، وذهبت معها إلى الطبيبة، التي قالت: مدام (منى) ليس لديها مانع للحمل وأمورها على ما يرام، ولا داعي للقلق، ممكن الأستاذ (صلاح) يكشف هو الآخر؟...

وقبل أن تنتهي من كلماتها، حتى غضبت (أم صلاح) وقالت: لا أسمح لكِ أن تنطقي بهذا الكلام عن ابني، هو أحسن رجل في الدنيا... وخرجت من العيادة وهي في قمة غضبها، وتتوعد الطبيبة بأنها ستدعو عليها، ولم تستطع (منى) عمل شيء، غير أنها دخلت منزلها وهي ترتجف خوفًا منها...

وانتظرت الأم قدوم (صلاح)، وعندما حضر، وحكت له أمه ما حدث عند الطبيبة، فدخل بيته غاضبًا، وأخذ ينهر (منى) كأنها هي السبب !!! وبدَّل ملابسه وترك البيت ليبيت عند أمه، وترك (منى) تبيت لوحدها...

واستمر على هذا الحال حتى زارتها الدكتورة كعادتها للسؤال عن (منى) والاطمئنان عليها، وحكت لها (أم صلاح) عن كلام الطبيبة، فأيدت الدكتورة (نفين) كلام طبيبة النساء، فثارت عليها (أم صلاح) وشبه طردت الدكتورة (نفين) من بيتها، وسمعت (منى) إهانتها للدكتورة، فأخذت تعتذر لها، وتتوسل لها أن تبقى ولا تذهب، لكن الدكتورة (نفين) شعرت بإهانة كبيرة، وقالت لـ(منى) قبل رحيلها : لن أحضر هنا مرة أخرى، وإذا أردتِ رؤيتي احضري عندي، لأطمئن عليكِ...

وما إن سمعت (أم صلاح) الحديث، الذي دار بين (منى) والدكتورة (نفين)، حتى انقضت على (منى) ومسكتها ومن شعرها، وضربتها بدون رحمة أو شفقة، و(منى) تصرخ، حتى سمعتها (سعاد) وخلصتها من أيدى حماتها، وفي ذلك الوقت وصل (صلاح) من الخارج وقالت له أمه وهي في قمة غضبها : اطرد البنت دي من البيت، وطلقها، لن أرضى عنك إذا بيتها ليلة واحدة في البيت...

فنظر لأمه وجد عينيها تطق من الشر وأنفاسها متلاحقة، ونظر لـ(منى) وجدها منكوشة الشعر ويسيل الدم من وجهها وتبكي بحرقة، فطلب من أمه ان تهدأ، لكنها كانت مصرة على طلبها، فقال وهو يهدئ أمه : اهدأي يا أمي وسأنفذ لكِ ما تريدين!!!

نظرت إليه (منى) وتماسكت ولملمت جراحها، واستندت على (سعاد) واتجهت إلى بيتها، لكن سمعت حماتها تنهرها وتقول : لا تدخلى البيت، ولا تأخذي شيئًا معكِ، هيا يا ابني اطردها بالجلباب الذي ترتديه، اخرجها فورًا الآن!!!

نظرت (منى) لزوجها حتى ينطق بكلمة واحدة، لكن للأسف انصرف من أمامها، فتشجعت ونزلت من البيت، وهي في أشد آلامها وحزنها، وسمعت (سعاد) تدعو على حماتها وتقول : منكم لله...

وأوقفت (منى) عربة أوصلتها إلى أخيها (أحمد)، الذي صُدم عندما رآها وطلبت منه أن يوصِّلها إلى أمها في القرية، ويطلِّقها من (صلاح)...

وبالفعل أوصلها إلى أمها... وطُلِّقت (منى) من (صلاح)، وأغلقت أحزانها على نفسها، حتى ظهرت نتيجة الثانوية العامة بنجاحها بمجموعٍ عالٍ، وهذا النجاح كسر حدة الحزن، لكن قلبها كان مكسورًا ومجروحًا لما حدث في ستة شهور، وكانت الدكتورة (نفين) تزورها من وقت إلى آخر...

ومرَّت ستة شهور أخرى على (منى)، وقد بدأت تعتاد على وحدتها، كلما دعاها أخوها (أحمد) إلى التنزه في مكان ترفض، واستقبلت مولود أخيها (رياض) وشاركت (تهاني) في تربيته...

وفى يوم، حضرت الدكتورة (نفين) وعرضت على (منى) عريس؛ ابن خالتها دكتور في القلب، أرمل ولديه طفل عمره ستة شهور، ويعيش في الخارج، وحدثته عن (منى) وطلب منها أن يراها، وقالت لها : أتعهد لكِ بأنكِ لن تندمي، إذا وافقتِ على رؤيته...

جلست (منى) تفكِّر قليلاً وقالت : نعم أوافق على الجلوس معه...

وحضرت الدكتورة ومعها الدكتور (معتز) ويحمل معه طفله الصغير (رامي)، نظرت (منى) إلى الدكتور (معتز) وجدته رجلاً تعدى الثلاثين، خمري، له ملامح طيبة، وشعر كثيف، وما أن اقتربت منه حتى ارتمى عليها الرضيع (رامي) وهو يتمتم: مم مم.. فاحتضنت (منى) (رامي) وقالت: أوافق على هذا الزواج...

قال الدكتور (معتز) : هأمن لكِ مستقبلك بمبلغ في البنك باسمك، ولكِ أن تختاري من أشيك جواهرجي الشبكة التي تريدينها...

وفى أثناء التجهيز للأوراق المطلوبة للسفر مع زوجها، كانت ترافقها الدكتورة (نفين) في سيرها فقالت لها : ممكن أعرف رأيك في الدكتور (معتز)؟؟؟
قالت لها (منى) : قبل أن تحضري وتحدِّثيني عن الدكتور (معتز)، رأيته في المنام هو و(رامي)، وأنا أسير معه في طريق مفروش بالورد والنور، وكنت أرتدي الفستان الأبيض وسعيدة... فحضنتها الدكتورة (نفين) وهي فرحة وتقول: إن شاء الله كل أيامك تكون سعادة وسرور...

وانتهت الأوراق المطلوبة، وسافرت (منى) بعد ما لبست الفستان الأبيض مع زوجها الدكتور (معتز)...

وقدَّم لها في الجامعة في الخارج...
ومرَّت السنين، والسعادة ترفرف عليهما، وأصبحت زميلة لزوجها صاحب أكبر مستشفى للقلب في لندن، وأصبح لديهما ثلاثة أبناء، ولدان غير (رامي) وبنت، وتلقوا دعوة من نقابة الأطباء بالقاهرة

لزيارة القاهرة لمدة أسبوع... وعند وصولهما مع أولادهما إلى مطار القاهرة، استقبلهما الصحفيون وطاقم من أطباء القلب، وسجل معهما التليفزيون المصري اللقاء، الذي نُوِّه عنه قبل حضورهما بأسبوع...

وعلى الجانب الآخر؛ كانت تشاهد التلفاز (أم صلاح) التي تسببت لابنها (صلاح) في أزمة نفسية، من آثار زواجه من امرأتين بعد (منى)، وأصبح لا يفيق من شرب الخمر، وما أن رأت (منى) حتى أصيبت بالحسرة وعضَّت على يديها ندمًا على ما أصاب ابنها، ولكن أراد ربنا أن يطلعها على نصرة (منى) بعائلتها الجديدة.



المؤلفة في سطور

- هويدا سمير عبد الحليم سعيد
- كاتبة وقاصة مصرية، من مواليد ١٩٦١م
- حاصلة على بكالوريوس خدمة اجتماعية سنة ١٩٨٤
- عملت فى مجال التربية والتعليم كإخصائية اجتماعية
- نشرت قصصها في العديد من المواقع والمجلات الإلكترونية
- صدر لها :

ـ أقــدار : مجموعة قصصية

شمس للنشر والإعلام، القاهرة ٢٠١٤م

الفهـرس

- إهــداء ٥
- مقدمة ٧

١. رحلة في الأعماق ٩
٢. الـمـؤامـرة ١٥
٣. ثَـمـن الـحُـب ٣١
٤. الجزيرة الغامضة ٤٣
٥. سفينة الحُب ٥١
٦. وبشِّر الصابرين ٥٧
٧. الـمُسْتحيـل ٦٣
٨. حكاية أميـرة ٦٧
٩. الظلمُ ظُلمات يوم القيامة ٧٥
١٠. ردُّ الـمظالـم ٧٧
١١. الأصـدقـاء ٨١
١٢. بائعة الخُضار ٩٥
١٣. صـائـد الإنـاث ١١١
١٤.الـتــوأم ١٤١
١٥. الـعــائلـة ١٥٥



(+2) 02 27270004 / (+2) 01288890065

www.shams-group.net